

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

Conditional and interrogative in the discourse of believers and disbelievers in Surat An-Nisa

عائشة بنت سعيد صالح العطوي، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية،

AISALATAWI@UT.EDU.SA

تاريخ قبول المقال: 02-12-2024

تاريخ إرسال المقال: 25-10-2024

ملخص .

يسعى البحث إلى دراسة الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين ومن هم بمنزلتهم من منافقين وكفار اليهود في سورة النساء، وهي دراسة تركيبية-دلالية تعتمد على المصنفات النحوية وكتب التفسير، إذ يهدف البحث إلى ربط الأنماط الجمالية الشرطية والاستفهامية بالسياقات الدلالية والتداولية التي تمثلها آراء المفسرين لمحاولة الكشف عن التباين التركيبي والدلالي بين خطاب المؤمنين وخطاب الكافرين، وسوف تُدرج كلّ أدوات الشرط والاستفهام الواردة في سورة النساء ضمن دراسة عدد كبير من الآيات القرآنية سعياً لإثبات هذه الظاهرة الجمالية الإعجازية التي يتفرد فيها الخطاب القرآني .

الكلمات المفتاحية: خطاب المؤمنين، خطاب الكافرين، الاستفهام، الشرط .

Abstract

The condition and the interrogative within the speech of the believers and the unbelievers in "Surat Al Nisa". The research seeks to study the conditional and the interrogative within the discourse of the believers and the unbelievers and those who are in their position of the jews in "Surat Al Nisa". Its a structural and semantic study based on grammatical works and books of interpretation. The research aims to link the conditional and interrogative sentences patterns with the semantic and deliberative contexts represented by the opinions of the interpreters in order to try to reveal the structural and semantic contrast between the discourse of the unbelievers, and the unbelievers

All the conditional and interrogative tools mentioned in "Surat Al Nisa" will be included in a study of a large number of Quranic verses in an effort to prove this miraculous aesthetic phenomenon in which the Quranic discourse is unique.

Key words : the discourse of the believers, the discourse of the unbelievers, the interrogative, the condition .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

مقدمة :

يدرس هذا البحث أسلوب الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء، ومن يتأمل لغة القرآن الكريم ويمعن النظر فيها يجد أن هذين الأسلوبين من الأساليب الشائعة، واستعمالها في الخطاب القرآني ليس كاستعمالها في أي خطاب آخر، وذلك لما تتسم به لغة القرآن الكريم من خصوصية تبرز في صيغها الأسلوبية، وجماليات في التعبير لا تتوافر في غيرها، وعلى الرغم من كثرة الدراسات اللغوية المتعلقة بالنص القرآني إلا أنه يظل زاخراً بالقضايا والجماليات التي تستحق الدراسة والاهتمام والبحث عن تفاصيل مهمة لم يتطرق لها الباحثون، فكلما أعدنا القراءة والتأمل في هذا الخطاب المميز المتفوق بلاغياً وأسلوبياً ولغوياً تستوقفنا بعض الملاحظات المرتبطة بجمالية اللغة والبناء الأسلوبي، لتكون فيما بعد قاعدة لدراسات قيمة لكتابنا العزيز .

ومن هنا تكمن أهمية البحث؛ وهي دراسة أسلوب الشرط والاستفهام في سورة (النساء) ضمن خطاب المؤمنين والكافرين بعنوان ومنهج مستقلين في أسلوبين يشيع استعمالهما في الخطاب القرآني، كما أن هذه الدراسة مقدمة لدراسات تالية في أساليب وجماليات أخرى في خطاب كل من المؤمنين والكافرين.

• أهداف البحث: يهدف إلى بيان قدرة الخالق -جلّ وعلا- على إنشاء خطاب خاص بالمؤمنين وآخر خاص بالكافرين، ولكل خطاب منهما أسلوبه ولغته ودلالاته، والحقيقة أن من يطلع على كتب المفسرين وبعض الدراسات المتعلقة بالخطاب القرآني يجد جوانب منها تتعلق بموضوع البحث، كالحديث عن خطاب المؤمنين وخطاب الكافرين لكن دون المقارنة بينهما أسلوبياً ودلالياً وبيان أوجه التشابه والاختلاف.

• الدراسات السابقة: لا توجد دراسة علمية متخصصة تُعنى بتحقيق مثل أهداف هذه الدراسة، وأرى أن موضوع البحث جديد من حيث الفكرة والمنهج، إذ لم أعتز على دراسة مشابهة سوى الجزء الموجود في كتاب (جماليات التعبير في لغة القرآن الكريم) للدكتور سامح الرواشدة، ودرسته تناولت الحديث عن هذا الموضوع في جزء يسير منه، فقد تحدثت عن التباين بين خطاب المؤمنين وخطاب الكافرين، من حيث الأسلوب واللغة والدلالة. وقد كانت الفكرة على شكل لمحات موجزة لكنها دالة، وتستحق أن تكون انطلاقة جادة لكثير من الباحثين كما كانت لي في هذا البحث.

• منهج الدراسة: هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع الآيات القرآنية التي تشتمل على أسلوب الشرط والاستفهام وتحليلها ودراستها تركيبياً ودلالياً ضمن خطاب المؤمنين والكافرين.

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

- تساؤلات الدراسة: 1- ما دلالة توظيف أسلوب الشرط والاستفهام في سورة النساء؟
- 2- ما أهم أدوات الشرط التي وردت في سورة النساء؟ وما أهم أدوات الاستفهام التي وردت في السورة؟
- 4- ما أوجه التوافق بين التوظيف القرآني لأدوات الشرط والاستفهام والاستخدام لهما عند النحاة العرب؟
- خطة الدراسة: أما تقسيم البحث فقد جاء على النحو التالي:
- المقدمة: فيها حديث موجز عن موضوع الدراسة وأهميتها وأهدافها وتساؤلاتها ومنهجها وخطتها.. الخ.
- التمهيد: تعريفات ومفاهيم.
- الفصل الأول: الشرط: وجاء في مبحثين: الأول: أدوات الشرط الجازمة (إن، من، ما، أينما). والثاني: أدوات الشرط غير الجازمة (إذا، لو، لولا، أما، كلما).
- الفصل الثاني: الاستفهام: وجاء في مبحثين: الأول: حروف الاستفهام (الهمزة، أم). والثاني: أسماء الاستفهام (كيف، من، ما، ماذا، أي).
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

التمهيد:

سورة النساء هي سورة مدنية طويلة نزلت في المدينة¹، وهي سورة مليئة بالأحكام الشرعية، التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين، وتُعنى بجانب التشريع كما هو الحال في السور المدنية، وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة والبيت والأسرة والدولة والمجتمع، ولكن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تبحث حول موضوع النساء، ولهذا سميت (سورة النساء)²، وقد ورد ذكر النساء في سور أخرى، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء³.

وقد تحدثت سورة النساء عن حقوق النساء والأيتام وبخاصة اليتيمات وحقهن في الميراث والكسب والزواج، وقد صانت كرامة المرأة وحفظت كيانها، ودعت إلى إنصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى لها

¹ ابن كثير، اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، 1969، 448/1.

² الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2001، 234/1.

³ اسماعيل، عبد الله أحمد والمناعمة، عبد الله عبد الجليل، من قضايا أسماء سور القرآن الكريم، دراسة لغوية وصفية، مجلة الجامعة الإسلامية، مجلد 18، العدد الأول، 2010، ص 618.

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

كالمهر والميراث وإحسان العشرة، كما تناولت سورة النساء أحكام المواريث على الوجه الدقيق الذي يكفل العدالة ويحقق المساواة، وتحدثت عن المحرمات من النساء (بالنسب، والرضاع، والمصاهرة)¹، "فهي تقدّم نموذجاً تشريعياً على قانون الأحوال الشخصية"²، وقد تحدثت السورة عن تنظيم العلاقات الزوجية وبينت أنها علاقة إنسانية بالدرجة الأولى وأن المهر ليس أجراً ولا ثمناً، وإنما هو عطاء يوثق المحبة ويديم العشرة ويربط القلوب، ثم تناولت حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي أن يسلكها الرجل لإصلاح الحياة الزوجية عندما يبدأ الشقاق والخلاف بين الزوجين، وبينت معنى (قوامة الرجل) وأنها ليست قوامة استعباد وتسخير، وإنما هي قوامة نصح وتأديب كالتّي تكون بين الراعي ورعيته، ثم انتقلت من دائرة الأسرة إلى دائرة المجتمع، فبينت أن أساس الإحسان التكافل والتراحم والتناصح والتسامح والأمانة والعدل حتى يكون المجتمع راسخ البنيان قوي الأركان، ومن الإصلاح الداخلي انتقلت الآيات إلى الاستعداد للأمن الخارجي الذي يحفظ على الأمة استقرارها فأمرت بأخذ العدة لمكافحة الأعداء، ووضعت السورة بعض قواعد المعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى المحايدة أو المعادية، وفصلت الحديث عن الجهاد ضد المنافقين، فهم نابتة السوء وجراثيمة البشر، وقد تناولت السورة مكايدهم وخطرهم، كما نهبت إلى خطر أهل الكتاب وبخاصة اليهود وموقفهم من رسل الله الكرام، ثم ختمت السورة ببيان ضلالات النصارى ودعوتهم إلى الرجوع عن تلك الضلالات³.

المبحث الأول: خطاب المؤمنين والكافرين:

الخطاب هو "النص اللغوي بعد استعماله، وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب، ويتّسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء وأية محاولة لفصل أجزائه بعضها عن بعض تؤدي إلى تغييره وإعادة بنائه"⁴، والتخاطب يُعنى بدراسة أحوال المتخاطبين، والمقام الذي يقال فيه الكلام⁵، فلم تعد تراعي في النص الجوانب النحوية فحسب، بل يشترط جوانب أخرى بعضها يتعلق

1 الصابوني، صفوة التفاسير، 234/1.

2 ابن جني، مالك، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987، ص 184.

3 الصابوني، صفوة التفاسير، 234/1-235.

4 علي، محمد محمد بونس، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 157.

5 المصدر نفسه، ص 138.

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

بالدلالة بمفهوم واسع، حيث أسند إليها تحقيق التماسك النصي، فالجمل وأشكال القول الأخرى (المنطوقات اللغوية) يتماسك بعضها مع البعض الآخر دلاليًا من خلال المعلومات التي يقدمها النص بحيث لا يجد المستمع أو القارئ فراغاً أو ثغرة عند توصيل المعلومات¹، وعليه فإن المعرفة اللغوية لا تكفي في فهم القول اللغوي وتأويله فالمتلقي دائماً في حاجة إلى الوقوف على ملابسات هذا القول والأحوال التي قيلت فيه².

وليس بالإمكان فهم الخطاب من خلال مستوى واحد بل يستعان عند تحليل النص بوسائل على المستوى النحوي وأخرى على المستوى الدلالي وثالثة على المستوى التداولي وتتآزر هذه المستويات لتقديم تفسير متكامل، والجانب التداولي يضم دور المتلقي والموقف وهدف النص والمقام ونوع المعلومات المطروحة وأنواع التفاعل وأشكال السياقات وكيفية التواصل³، فلا بد من الجمع بين عناصر لغوية وعناصر غير لغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيراً إبداعياً⁴.

إنّ الخطاب القرآني الذي نقف أمامه إجلالاً وتعظيماً هو خطاب إلهي معجز يخلو من الأخطاء والثغرات والخطاب القرآني "ليس كمثل خطاب عربي آخر في نظم دواله وتأليف عباراته وارتباط بعضها ببعض ودقة مدلولاته"⁵، إنّ من يتأمل القرآن الكريم يلاحظ كيف راعى الخطاب الإلهي حال المخاطبين، فكل فئة خصص لها الله سبحانه وتعالى سياقاً معيناً ومقاماً مناسباً و"مراعاة المقام في التعبير القرآني ظاهرة بينة، فلا يكاد يخلو موضع من مواضع التعبير من مراعاة المقام، فهو أمر عام في عموم المواطن من الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتوكيد وعدمه وفواصل الآي والالتفات واختيار لفظة على أخرى وغير ذلك من مواطن التعبير"⁶.

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ المخاطب يختار نوع خاص من الخطاب دون غيره وتركيب رسالة خاصة مختارة من حيث مفرداتها المعجمية وهيئتها التركيبية لأنها أنسب من غيرها لهذا المخاطب⁷، فالمخاطب

1 بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997، ص 146_147

2 علي، محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، ص 138

3 بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، ص 147.

4 براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود (د.ط)، 1997، ص 267.

5 مغمولي، اسماعيل، الخطاب القرآني في ضوء العلوم اللغوية، مجلة الموقف الأدبي صادرة عن اتحاد العرب في دمشق، عدد 393، 2004.

6 السامرائي، فاضل صالح، مراعاة المقام في التعبير القرآني، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2015، (المقدمة)

ص5

7 علي، محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، ص 157

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

في النص القرآني الله سبحانه وتعالى عالم الغيب يعرف حال المخاطبين وما تخفي صدورهم فيخاطبهم بما يناسبهم، و"من المعلوم أن الله تعالى إنما يخاطب خلقه بما يفهمونه"¹، إن من يتأمل الخطاب الإلهي الموجه للمؤمنين والكافرين سيجد ظواهر مدهشة ولافتة للانتباه، تدلّ على أنّ لمنشئ النص -جلّ وعلا- موقفاً ثابتاً مطروداً تجاه الفئتين على مدى تكوين النص القرآني².

ومن الأمثلة على التباين في خطاب كل من المؤمنين والكافرين ذكر الخلود لأهل الجنة ورد بصيغة الجمع (خالدين) ولم يذكر لهم بالإفراد، فلم ترد (خالداً)، ذلك أن الوحدة عذاب ولو كانت في جنات النعيم وأن الاجتماع من مستلزمات السعادة، أما أصحاب النار فقد ذكر لهم الخلود بصيغة الإفراد وبصيغة الجمع، فيكون العذاب بالوحدة، وقد يكون العذاب بالجمع المستلزم للإهانة، أو لغير ذلك من دواعي العذاب بحسب ما يقتضيه المقام³.

ومن الأمثلة أيضاً أسلوب النداء، فالنداء الموجه للمؤمنين يأتي مباشراً من الله سبحانه وتعالى وهو يحمل دلالة تتجاوز النمط اللغوي الشكلي، فالخطاب الإلهي تجاوز عن استعمال النداء الموجه للمسلمين وهذا يدلّ على أنّ الله لا يرضيه أن يسلم المرء ويكتفي بإسلامه، لكنه يحثّ الناس على الإيمان ونحن نعرف أنّ الإيمان درجة أعلى من الإسلام⁴.

ومن الأمثلة على أسلوب النداء الموجه للمؤمنين في سورة النساء قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكُتِبَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُوْلِهِ ءَالْكُتِبَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا"⁵، فالله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين مباشرة دون وسيط والدعوة جاءت بصيغة الأمر (آمنوا)، وحددت الآية المبدوءة بالنداء المتبوع بصيغة الأمر أركان الإيمان المعروفة وهذا النمط من الآيات يتضمن دعوة المؤمنين لإطاعة الله والرسول فلا يعقل أن يحتسب مؤمناً من أنكر رسالة يحملها الرسول من الله جلّ وعلا⁶.

أما النداء الموجه للناس، فنجد في بداية سورة النساء "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ

¹ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 1984، 14/1

² الرواشدة، سامح، جماليات التعبير في لغة القرآن الكريم، الصايل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص35

³ السامرائي، مراعاة المقام في التعبير القرآني، ص8.

⁴ الرواشدة، سامح، جماليات التعبير في لغة القرآن الكريم، ص36

⁵ النساء: 136

⁶ الرواشدة، سامح، جماليات التعبير في لغة القرآن الكريم، ص36

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

بِهَ وَالْأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا¹، ودلالة أسلوب النداء هنا هو دعوة إلى عبادة الله والإيمان به واستعمال صيغة (الناس) للمنادى مسوغة، إذ لا نجد القرآن يميل إلى مخاطبة الناس في الأحكام والتشريع كما وجدنا في خطاب المؤمنين، وكأن القرآن الكريم قد اصطنع خطاباً ينسجم وطبيعة المخاطبين².

ومن جانب آخر نجد الله سبحانه وتعالى يستعفف عن مخاطبة الكافرين أو المنافقين مباشرة وذلك لثبات كفرهم وعصيانهم، لذلك كان يوكل مهمة مخاطبتهم إلى محمد عليه الصلاة والسلام³، ومن الأمثلة على ذلك في سورة النساء قوله تعالى "بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا"⁴، والمقصود بصيغة (بشر) هنا (أنذر) فاستعمل الخطاب القرآني البشارة فكان الإنذار تهكماً، ومحمد صلى الله عليه وسلم موكل من الله بإنذار المنافقين بالعذاب الأليم وهو عذاب النار⁵.

وهذه القاعدة ثابتة في الخطاب القرآني إلا في سياقات معينة كأن يكون الخطاب ليس موجهاً للكافرين في الدنيا إنما يشير إلى الآخرة كقوله تعالى "يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون"⁶ ولعل الأمر يبدو مقبولاً لأن الذين كفروا لن يجدوا نبياً يخاطبهم للهداية في الآخرة فالفرصة قد انقطعت⁷.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث وهو دراسة أسلوبين خطابيين هما الاستفهام والشرط ضمن خطاب كل من المؤمنين والكافرين ومن هم بمنزلة الكافرين من منافقين وكفار أهل الكتاب، وقد ارتبطت الدراسة ارتباطاً وثيقاً بمرجعية مهمة وهي كتب المفسرين التي دعمت الجانب الدلالي والتداولي في الدراسة.

المطلب الأول: الشرط:

وصفه ابن منظور بأنه معروف⁸، أي معروف الدلالة، فالشرط ظاهرة لغوية يشيع استعمالها في النصوص المكتوبة والشفوية ويعرف بأنه "تعليق شيء بشيء، إذا وجد الأول وجد الثاني"⁹، وذكر ابن منظور أيضاً

1 النساء :

2 الرواشدة، سامح، جماليات التعبير في لغة القرآن الكريم، ص 42

3 المرجع نفسه، ص 44

4 النساء : 38

5 الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10، 2009، 330/3

6 التحريم : 7

7 الرواشدة، سامح، جماليات التعبير في لغة القرآن، ص 46

8 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، مادة (شرط) 329/7.

9 الشريف، علي بن محمد، معجم التعريفات، بيروت، لبنان، مادة (شرط)، ص 131.

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

بأنه إلزام الشيء والتزامه في البيع كقولك : بعتك هذا الثوب نقداً بدينار¹، فالحصول على الثوب مشروط بدفع الدينار .

وعرفه النحاة بأنه "وقوع الشيء لوقوع غيره"²، وعبر عنه المبرد بالمجازة³، في حين أطلق ابن يعيش على الجملة الأولى شرطاً والثانية جزءاً⁴، واعتبر البلاغيون الشرط بأنه أسلوب ثالث، فقد حدد البلاغيون نوعين عاميين من الأسلوب هما (الخبر) و(الإنشاء) وبنوا التقريب بينهما على احتمال الصدق والكذب وعدم احتمالهما هو معيار منطقي لا فني، ولقد أدّى اعتمادهم على هذا المعيار إلى اضطرابهم إلى التهرب من نسبة (الشرط) نسبة قاطعة إلى أحد الأسلوبين، واعتباره أسلوباً ثالثاً قائماً بذاته يجوز عليه الصدق والكذب حيناً، نحو "إن بدا ضوء الشمس فالوقت نهار" ولا يجوز حيناً آخر نحو "إن سمعت العويل فرحم الله زيداً" لأن الكلام هنا ليس له نسبة خارجية توافق أو تخالف النسبة الكلامية لهذا نظر علماء المعاني إلى الشرط باعتباره صورة من صور التقييد، على نحو ما رآه الأصوليين قبلهم⁵، ومعناه الفقهي هو "ما يتوقف وجود الشيء على وجوده وكان خارجاً عن حقيقته، ولا يلزم من وجوده وجود الشيء، لكن يلزم من عدمه ذلك الشيء، والمراد بوجود الشيء وجوده الشرعي الذي تترتب عليه آثاره الشرعية، كالوضوء للصلاة ... فالوضوء شرط لوجود الصلاة الشرعية التي تترتب عليها آثارها من كونها صحيحة مجزئة مبرئة للذمة، وليس الوضوء جزء من حقيقة الصلاة، وقد يوجد الوضوء ولا يوجد الصلاة"⁶.

إن الشرط أسلوب لغوي - يُبنى بالتحليل - على جزئين، الأول منزل منزلة السبب، والثاني منزلة المسبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول، فجملة الشرط إذاً تتألف من عبارتين لا استقلال لأحدهما عن الأخرى، تسمى العبارة الأولى شرطاً وتسمى العبارة الثانية جواباً أو جزءاً، وليست عبارة الشرط جملة كما يراد من الجملة، بل أسلوب لغوي يعبر عن فكرة تعتمد في وجودها على الشرط والجواب معاً⁷، وكان عبد القاهر الجرجاني يجعل من الشرط وما عطف

1 ابن منظور، لسان العرب، 329/7 .

2 المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 46/2 .

3 المرجع نفسه، 46/2 .

4 ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 155/8 .

5 حسان، تمام، الأصول، دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص311

6 زيدان، عبد الكريم، الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة قرطبة، (د.ط)، (د.ت)، ص 59 .

7 المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد، بيروت، ط2، 1986، ص 284.

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

عليه جملة واحد، فهو يقول : "الشرط - كما لا يخفى- في مجموع الجملتين لا في محل واحدة منهما على الانفراد، ولا في واحدة دون الأخرى"¹.

وهذا التّوحد بين الجملتين يجعل من الشرط أسلوباً مميزاً يحمل أفكاراً ودلالات عميقة، وهو من الأساليب التي تسهم في تماسك النصوص وترابطها، وشيوع أسلوب الشرط في النصوص المكتوبة والمنطوقة دليل على ما حققه من ترسيخ المقاصد والدلالات.

إن أسلوب الشرط من الأساليب الشائعة في سورة النساء، فقد بلغت جملة ما يقارب مئة وتسع عشرة جملة، استعملت فيها تسع من أدوات الشرط هي (إِنْ، مَنْ، إِذَا، لَوْ، مَا، كَلِمَا، لَوْلَا، أَيْنَمَا، أَمَّا)، وقد كانت الأداة الأكثر شيوعاً هي (إِنْ) وجاء استعمالها بكثرة في آيات الأحكام لما فيها من شرح وتوضيح واستقصاء للنفاصيل، كالأحكام المتعلقة بالنساء والموارث، فعلى سبيل المثال نجد الخطاب القرآني قد اشتمل على خمس جمل شرطية في آية واحدة كانت الأداة فيها هي (إِنْ)، قال تعالى "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً (11) ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما [ص: 281] السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حلیم."².

إن هذا الاستعمال يتناسب مع الحاجة السياقية والدلالية، وهي تنظيم أنصبة الميراث وترتيبها وفقاً للحالات الممكنة الوجود، وجاء استقصاء هذه الحالات التي تمتاز بأنها قد تكون ممكنة الوجود أو قد لا تكون من خلال استعمال حرف الشرط (إِنْ)، وقد أشار النحاة إلى ذلك بقولهم إن الشرط "إنما يكون بما ليس في

¹ الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، علق عليه محمود شاكر، ص 245-246.

² النساء: 11

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

الجود ويحتمل أن يوجد وأن لا يوجد"¹، ومن هنا فإنّ الخطاب الإلهي المتضمن لأسلوب الشرط المتصدر بالأداة (إن) كان في غاية الدقة والإعجاز الدلالي.

يهتم هذا الفصل من البحث بدراسة بعض الآيات المتضمنة لأسلوب الشرط ضمن خطاب المؤمنين والكافرين، وسوف تمثل أدوات الشرط محاور الدراسة.

المطلب الثاني: أدوات الشرط الجازمة: (إن) :

من أدوات الشرط الجازمة، تدخل على جملتين فتجعل الأولى شرطاً والثانية جزاءً²، وقد عدّ النحاة (إن) أم الباب لالتزامها بمعنى الشرط وعدم خروجها إلى غيره³، فهم يرون أن الجزاء في الحقيقة "إنما هو ب (إن)"⁴، ويرى سيبويه أن أدوات الشرط قد تخرج عن معناها كالاستفهام مثلاً، في حين أنّ حرف الشرط (إن) يبقى على حاله لا يفارق المجازة⁵، أما الكوفيون فقد قالوا بأنها قد ترد بمعنى (إذا)، كما في قوله تعالى: "يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"⁶، أي (إذا كنتم مؤمنين) أو (إذا كنتم مؤمنين)⁷.

وردت (إن) الشرطية في عدة آيات ضمن خطاب المؤمنين، ومن هذه الآيات قوله تعالى "يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُم فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَزُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"⁸، الخطاب الإلهي هنا موجه للمؤمنين فإله سبحانه وتعالى يأمرهم بطاعته وطاعة الرسول وأولي الأمر منهم، وقد تخلل هذا الخطاب ظاهرة لغوية وهي الحذف، فقد حذفت الجملة الفعلية (أطيعوا) قبل (أولي الأمر) في حين ثبتت في قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) على أن المرجع الوحيد للمؤمنين هو الله والرسول⁹، أما أولي الأمر وهم أهل الفقه والدين¹⁰، فلم تؤكد طاعتهم بتكرار الجملة الفعلية (أطيعوا) وفي ذلك إشارة إلى أنهم ليسوا مرجعاً أساسياً لفض الخصومات

1 ابن يعيش، شرح المفصل، 157/8.

2 ابن يعيش، شرح المفصل، 155/8.

3 المرجع نفسه، 156/8.

4 ابن السراج، محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1999، 158/2.

5 سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، 63/3.

6 المائدة: 57

7 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2012، 452/2.

8 النساء: 59

9 الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، 420/1.

10 المرجع نفسه، 420/1.

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

والنزاعات، لكن طاعتهم واجبة إذا كانت في غير معصية الخالق¹، وقد أكد أسلوب الشرط هذه الدلالة بصورة دقيقة، ففي قوله تعالى "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" تأكيد على الأمر الإلهي السابق وهو أن المرجع الوحيد عند الخلافات والخصومات هو القرآن والسنة .

وفي قوله تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) شرط "حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أي فردوه إلى الله والرسول"²، أي وقع الحذف لأنه ذكر في سياق سابق، فقد تقدم ما يدل على المحذوف³، وربما وقع هذا الحذف بسبب التكرار، فهذا النسق من الشرط (إن + كان + معمولها) كثير في القرآن الكريم في خطاب كل من المؤمنين والكافرين، ومن أمثله ضمن خطاب المؤمنين (إن كنتم مؤمنين) و (إن كنتم تعقلون)⁴، وليس القصد هو التشكيك بإيمان المؤمنين بل "إحماء إيمان المؤمنين ليثبتوا على إيمانهم"⁵، ورغم أن الأصل في استعمال إن (الشرطية) هو عدم حزم المتكلم لوقوع الشرط، إلا أنها قد تدخل على المتيقن بوقوع الشرط⁶، بمعنى أنها قد تستعمل في الأمور اليقينية⁷.

والتركيبان الشرطيان : (إن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) و (إن كنتم مؤمنون بالله واليوم الآخر) يؤكدان على دلالة واحدة ضمن خطاب المؤمنين وهي الحث على التمسك بالكتاب والسنة وضرورة الالتزام بالرجوع إليهما، وفي قوله تعالى "وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنُزُّوهُمَا كَالْمُغْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا"⁸، الخطاب هنا مرتبط بحكم شرعي وهو العدل بين النساء، فالتركيب الشرطي الأول يخبر المؤمنين أنه إذا أصلحتم في أموركم وقسمتم بالعدل وانقيتم الله في جميع الأحوال غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض أما التركيب الشرطي الثاني فهو يجسد حالة الطلاق، فإن لم يستطع المؤمنون أن يعدلوا فالحل هو أن يتفرقا، ونتيجته متمثلة بجواب الشرط وهي أن الله سيعوض كلا منهما

1 الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، 420/1

2 الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 2001، 261/1 .

3 الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الديمياطي، دار الحديث، القاهرة، د.ط،

2006، ص 691 .

4 سعداني الأخضر، نظام الجملة الشرطية في سورة آل عمران (رسالة ماجستير)، إشراف د. أحمد جلايلي، السنة الجامعية 2006/2005، ص 129 .

5 المرجع نفسه : ص 129

6 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1054 .

7 عودات، محمد عبد الرحمن ، الإعجاز القرآني في جملة (إن) الشرطية، المنارة، مجلد 22، العدد 4، 2016، ص 234 .

8 النساء : 129، 130

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

خيراً¹، وهنا جاء استعمال (إن) الشرطية في الأمور المشكوك في تحققها²، فقد يعدلوا وقد لا يعدلوا وقد يتفرقا وقد لا يتفرقا، فالغالب في (إن) الشرطية أنها تشعر بالشك وعدم الحزم بوقوع الشرط³. إن استعمال (إن) الشرطية ضمن خطاب المؤمنين له دلالات تتعلق بتوضيح أمور الدين وترغيبهم ووعظهم وإرشادهم وتنشيت إيمانهم وعقيدتهم.

أما استعمال (إن) الشرطية ضمن خطاب الكافرين فله دلالات متعددة منها ما ورد في قوله تعالى " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا "4، وفي قوله تعالى " يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا "5 خطاب إلهي مميز ذو إيقاع عذب متمثل في تركيبين شرطين تكررا لا لهدف التكرار وإنما لتقديم دلالات متناغمة متداخلة، فالتركيب الأول يحمل دلالة استغناء الله سبحانه وتعالى المستحق للعبادة والحمد عن الكافرين إن لم يؤمنوا وفي التركيب الثاني توضيح للقصد من هذا الاستغناء وهو أن الله حكيم وعالم، يعلم من يستحق الهداية فيهديه ومن يستحق الغواية فيغويه⁶، وكفرهم لن يضره ولن ينفعه في شيء فله ما في السموات وما في الأرض، وعليه فإن الشرط هنا يعمق دلالة الاستغناء .

وفي قوله تعالى " إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا "7، قال ابن عباس : الخطاب للمشركين والمنافقين وقال الزمخشري : الخطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال أبو سليمان الدمشقي : الخطاب للكفار وهو تهديد لهم، كأنه قال : إن يشأ يهلككم كما أهلك من قبلكم إذ كفروا برسله. وقد يكون الخطاب موجه للعالم الحاضر الذي يتمسك بكفره، فإله إن يشأ يهلكهم ويأت بناس غيرهم، فالمأتي به من نوع المذهب⁸، نخلص أن المخاطب هنا هو الكافر وقد جاء استعمال (إن) الشرطية ضمن تركيب شرطي يحمل دلالة التهديد .

1 الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير 459/1

2 عودات، محمد عبد الرحمن، الإعجاز القرآني في جملة (إن) الشرطية، ص 234 .

3 حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، دبت، 432/4 .

4 النساء : 131

5 النساء : 170

6 الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، 481/1 .

7 النساء : 133

8 أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 383/3 .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

وجاء استعمال (إن) الشرطية لإثبات حقيقة المنافقين فكشفت عن باطنهم وظاهرهم ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى " وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُورًا قَوْرًا عَظِيمًا " ¹، الشرط في الآيتين الكريمتين يصور حال المنافقين الذين يتباطؤون في الخروج للجهاد فالمنافق الذي لم يخرج للجهاد ولم يمت فهو يعد ذلك نعمة من نعم الله، وإذا حظي الكافرين بالنصر والظفر والغنيمة فإنه سوف يتمنى لو كان معهم ليظفر بالغنائم وهذا هو أكبر قصده وغاية مراده ².

وفي قوله تعالى " الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا " ³، يخبر الله سبحانه وتعالى أن المنافقين يتربصون بالمؤمنين وينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفرة عليهم، وقد أظهر التركيب الشرطي ذلك، فإن كان للمؤمنين نصر وتأييد وظفر وغنيمة قالوا لهم ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب في بعض الأحيان كما وقع في أحد قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين أي ساعدناكم في الباطن حتى انتصرتهم عليهم، فهم يتوددون إلى هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، لكن الله سبحانه وتعالى سيحكم بينهم يوم القيامة لما يعلمه من بواطن المنافقين الرديئة وسوف لن يكون للكافرين على المؤمنين حجة ⁴.

المطلب الثالث: مَنْ :

أداة شرط جازمة، تجزم الفعلين ⁵، تدلُّ على العاقل ثم تضمنت معنى الشرط ⁶، ولأنها مبهمة فهي تحمل دلالة المفرد والمثنى والجمع ويفرق بين هذه الدلالات بالضمير العائد إليها ⁷.

النساء : 72 - 73

الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير ، 425/1 .

النساء : 141

الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير ، 462/1

ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 433

ابن هشام، جمال الدين، شرح شذوذ الذهب، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، (د.ط)، 1968، 358/1

المرجع نفسه، 358/1

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

إنَّ التركيب الشرطي المتضمن اسم الشرط (مَنْ) في سورة النساء ورد في خطاب كل من المؤمنين والكافرين حاملاً دلالة المقارنة، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى "تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُخْلِهِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"¹، وقوله جلَّ وعلا "وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ"²، تظهر دلالة المقارنة في هاتين الآيتين عبر ترتيب مقصود وتقسيم متناغم بين المفردات والجمل وهنا نلمس ظاهرة بلاغية هي الطباق، والطباق "هو أن تجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل، كالبياض والسواد، والليل والنهار"³، والألفاظ المتضادة في الآيتين هي (يطع، يعص) و(جنات، ناراً)، ولا تدرس هذه الألفاظ بمعزل عن السياق فقد وقعت ضمن تقسيم جملي شرطي أظهر لنا المقارنة بين ثواب المؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله وعقاب الكافرين الذين يعصون الله ورسوله .

إن جواب الشرط (يدخله) وهو مجزوم بالسكون يرتبط بالنتيجة الحتمية في خطاب كل من المؤمنين والكافرين، والقاعدة ومقتضى الدلالة العقلية هو أن الشرط يترتب على المشروط، فالشرط في خطاب المؤمنين هو الطاعة والمشروط هو الجزاء والثواب، والنتيجة صادقة حتماً لأن الواعد هو الله وهو أصدق القائلين⁴ .

أما الشرط في خطاب الكافرين فهو العصيان والتعدي على حدود الله وأوامره والمشروط هو العقاب وعقاب الكافر النار خالداً فيها أي هي مستقره الأبدي⁵ .

ومن الجدير بالذكر أن صيغة الجمع (خالدين) ارتبطت بخطاب المؤمنين للدلالة على حالهم في الجنة فهم ينعمون باجتماع بعضهم إلى بعض، أما صيغة (خالداً) فقد ارتبطت بخطاب الكافرين وهي تدل على حالهم في النار فهم يعانون من العذاب والوحدة ويروى أن كل واحد منهم في تابوت لا يرى أحداً ولا يراه أحد⁶ .

1 النساء : 13

2 النساء : 14

3 الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1984، 455/3

4 العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ، 110/1

5 العثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء) ، 118/1

6 المرجع نفسه، 118/1 - 119

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

وجملة الشرط (من يطع الله ورسوله) تكررت في سياق آخر هو قوله تعالى " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّاهِدِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا " ¹، وجاء هذا التكرار للتأكيد على ثواب المؤمنين المشروط بطاعة الله ورسوله، وتكرر جملة الشرط (مَنْ يُطِعِ) في قوله تعالى " مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا " ²، والتكرار هنا جاء للتأكيد على طاعة الرسول، فطاعة الله مشروطة بطاعة الرسول، وعليه فإن دلالة التكرار هي التأكيد ³.

إن الأمثلة على دلالة (مَنْ) الشرطية على المقارنة بين ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين متعددة لذلك نكتفي بمثال آخر منها وهو قوله تعالى "مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا " ⁴. فالسياق الشرطي هنا يبين لنا ثواب الشفاعة الحسنة والتسبب بالخير الواقع بها ⁵، ويبين عقاب الشفاعة السيئة وهي أن فاعلها يكن له كفل من وزرها مساوٍ لها في القدر ⁶، والكفل هو النصيب، وقد ارتبطت لفظة (الكفل) بخطاب الكافرين إذ "أكثر ما يستعمل الكفل في الشر" ⁷.

وفي غير سياق المقارنة ترتبط (مَنْ) الشرطية بدلالة التهديد المرافقة لعقوبة الكافرين التي تتضمنها جملة جواب الشرط لقوله تعالى " وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُونًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا " ⁸ أي من يفعل نفسه أو من يفعل شيئاً مما تقدّم النهي عنه، فسوف يصلّيه الله سبحانه وتعالى ناراً ⁹، وجواب الشرط هنا ارتبط بالفاء لوجود سوف ¹⁰، وسوف "مرادفة للسين" ¹¹، فهي تفيد الاستقبال والاستمرار، إذ "الاستمرار يكون في المستقبل" ¹²، وفي هذا الأسلوب الشرطي تظهر لغة التهديد والوعيد ¹³.

1 النساء : 69

2 النساء : 80

3 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 11/3

4 النساء : 85

5 البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط1، 2000، 376/1.

6 المرجع نفسه، 376/1.

7 الصابوني، صفوة التفاسير، 265/1.

8 النساء : 30

9 النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2004، 210/1.

10 السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 457/2.

11 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 185

12 المرجع نفسه، ص 185

13 الدمشقي القرشي، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، سوريا، د.ط، 1969، 480/1.

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

وكما أنَّ (السين وسوف) تؤكدان الوعيد فهما تؤكدان الوعد أيضاً¹، ففي قوله تعالى "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"² حمل جواب الشرط دلالة الترغيب والوعد، فمن يفعل الخير ويأمر بالمعروف والإصلاح طلباً لرضى الله فسوف يعطيه الله سبحانه وتعالى ثواباً جزيلاً هو الجنة، والتعبير بسوف إشارة إلى أن جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة لا في الدنيا لأنها ليست دار جزاء³.

المطلب الرابع: ما :

تنقسم (ما) الشرطية إلى نوعين هما⁴ :

1- غير زمانية، كقوله تعالى "وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ"⁵.

2- زمانية، كقوله تعالى "فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم"⁶، أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم .

وردت (ما) الشرطية في سورة النساء ضمن آيات الأحكام في قوله تعالى "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا"⁷، (فما استمتعتم به منهن) شرط، والجواب هو (فآتوهن أجورهن فريضة)⁸، والسياق الشرطي هنا مرتبط بخطاب المؤمنين الذين فرض عليهم الله سبحانه وتعالى المهر "والمعنى: فإذا ابتغيت بأموالكم وعقدتم النكاح فاعطوهن أجورهن، وسمي المهر أجراً لأنه في مقابلة منفعة"⁹، وجاء الشرط المرتبط بالأداة (ما) في سياق آخر ضمن خطاب المؤمنين للتشجيع على فعل الخير وتجنب المعاصي وذلك في قوله تعالى "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا"¹⁰، أي "ما تفعلوه من عدل وبر في

1 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 185 .

2 النساء : 114

3 الصابوني، صفوة التفسير، 281/1

4 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 398 .

5 البقرة : 197

6 التوبة : 7

7 النساء : 24

8 ابن النحاس، إعراب القرآن، 208/1

9 العثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء) 203/1

10 النساء : 127

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

أمر النساء واليتامى فإن الله يجازيكم عليه¹، وذكر ابن كثير أن "هذا تهيج على فعل الخيرات وامتنال الأوامر وأن الله سيجزي عليه أوفر الجزاء"²، فجواب الشرط الذي يمثل جملة اسمية في محل جزم جاء تأكيداً على هذه القيمة العظيمة. وقد وقعت (ما) الشرطية في غير خطاب المؤمنين في قوله تعالى "مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَا لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا"³ الخطاب في هذه الآية قيل أنه للرسول عليه الصلاة والسلام، وقيل أن الخطاب موجه لكل من يتأتى خطابه، فمن قال أنه موجه للرسول عليه الصلاة والسلام فلأن السياق يقتضي ذلك، أما من قال بأنه موجه للجميع فهو لأن الرسول لا يسيء إساءة تكون المصائب التي تصيبه من عنده. ويرى ابن كثير أنه من الأولى أن يؤخذ بظاهر السياق وأن يكون الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام⁴. في حين يرى الصابوني أن الخطاب موجه لكل سامع⁵.

نخلص إلى أن (ما) الشرطية وقعت ضمن خطاب المؤمنين فقط وذلك للتأكيد على فريضة ثابتة وهي (المهر) وللتأكيد على عمل الخير وتجنب المعاصي، في حين لم تقع ضمن خطاب الكافرين في سورة النساء.

المطلب الخامس: أينما :

تتكون من (أين) و (ما)، وأين من جوارم الفعل المضارع نقلت من الاستفهام عن المكان إلى الجزاء مع بقاء دلالة المكان، كقولك : أين تكن أكن، والأكثر في استعمالها أن تتصل بها (ما)، وليس ذلك بلزام بل هو اختياري⁶.

1 الصابوني، صفوة التفاسير 283/1

2 ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 456/1

3 النساء : 79

4 العثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء)، 563/1 – 564 .

5 الصابوني، صفوة التفاسير، 268/1 .

6 ابن يعيش، شرح المفصل 45/7 .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

وردت (أيما) في سورة النساء مرة واحدة فقط وكان ذلك ضمن خطاب المنافقين في قوله تعالى " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ¹، إِنَّ السِّبَاقَ الشَّرْطِيَّ المرتبط بـ (أيما) في هذه الآية يحمل دلالة التهديد، والتهديد لا يكون إلا في الخطاب الموجه للكافرين والمنافقين، فالآية "نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتل أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلوا، فردَّ الله عليهم بقوله (أيما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) والبروج هي الحصون والقلاع، والمشيدة: المرفوعة المطولة، قال قتادة: معناه في قصور محصنة، وقال عكرمة: محصنة، والشيد الجص ² بمعنى أنه مهما كان المكان محصناً ومرتفعاً ومنيعاً فسوف يدرككم الموت .

المبحث الثاني: أدوات الشرط غير الجازمة:

المطلب الأول: إذا:

لها دالتان الأولى " للمفاجأة، فتختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال نحو (خرجت فإذا الأسد بالباب) ³، أما الدلالة الثانية فهي "أن تكون ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بالدخول على الجملة الفعلية ⁴.

ويذكر سيبويه أن (إذا) تتطلب وقتاً معلوماً، فلو قلت آتيك إذا احمرَّ البُسْرُ كان حسناً، ولو قلت آتيك إنَّ احمرَّ البُسْرُ، كان قبيحاً، فإنَّ أبدأً مبهمه وكذلك حروف الجزاء، وإذا توصل بالفعل، فالفعل في إذا بمنزلته في حين، كأنك قلت: الحين الذي تأتيني فيه آتيك فيه ⁵.

ومن الأمثلة على استعمال (إذا) قوله تعالى " وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ⁶، التحية هنا هي السلام، والمسلم مخير بين أن يردَّ بأحسن منها أو بمثلها، وقال

1 النساء: 78

2 البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل) تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض، د.ط، 1409هـ، 252/2.

3 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 120

4 المرجع نفسه، ص 127

5 سيبويه، الكتاب، 60/3

6 النساء: 86

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد : بأحسن منها إذا كان من يلقي التحية مسلماً، وإذا كان كافراً فيكون الرد بمثلها¹. وعليه فقد حققت (إذا) الظرفية الشرطية الدلالة المقصودة ضمن خطاب المؤمنين . وفي قوله تعالى " وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ اللَّهَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا "2، فإن استعمال (إذا) الظرفية ضمن هذا السياق الشرطي في خطاب الكافرين جاء استعمالاً دقيقاً فالسياق يحمل دلالة الظرف، وهو الحديث عن وقت التوبة، فتوبة من يباغتهم الموت ليست مقبولة، فهم يموتون على كفرهم ولا يقبل إيمانهم عند الاحتضار³، ومن مات على كفره ومن تاب عند حضور الموت كلاهما تجاوزا أوان التوبة .

المطلب الثاني: لو :

أداة شرط غير جازمة⁴، وتستعمل للدلالة على امتناع وقوع جوابها لامتناع شرطها وذلك في الزمن الماضي⁵، وإفادتها الشرطية تقتضي تعليق شيء على آخر، وهذا التعليق يستلزم أن يقع بعدها جملتان بينهما ترابط واتصال معنوي⁶، فالجمله الأولى هي سبب وعلة للجمله الثانية⁷، فقد امتنع وجود جواب الشرط لعدم وجود الشرط، "فامتناع السبب الموجد للشيء يؤدي حتماً إلى امتناع المسبب عنه المترتب عليه"⁸، ويرى النحاة أن لو يليها فعلا ماضيان هما فعل الشرط وفعل جواب الشرط، وإذا وقع بعدها المستقبل أحوالت معناه إلى المضي⁹ .

ويرى النحاة أن (لو) تدخل على الفعل فقط، وإذا دخلت على (أنّ ومعمولها) فهي في الأصل دخلت على فعل مقدر هو (ثبت)¹⁰. والواقع أننا لسنا بصدد مناقشة آراء النحاة حول (لو) الشرطية بصورة موسعة، ما يهمنا هو دلالة (لو) الشرطية وهي (الامتناعية)، أي امتناع وجود الجواب لامتناع وجود الشرط، ومن الأمثلة قوله تعالى " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنْ عِندِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا "11، أي لو

1 أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 322/3

2 النساء : 18

3 أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط 209/3 .

4 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 344

5 السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 468/2

6 حسن، عباس، النحو الوافي 491/4

7 ابن يعيش، شرح المفصل، 156/8

8 حسن، عباس، النحو الوافي ، 492/4 .

9 المرجع نفسه ، 494/4

10 المرجع نفسه ، 499/4

11 النساء : 82

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

كان هذا القرآن مختلفاً كما يزعم المشركون والمنافقون لوجدوا فيه تناقضاً كبيراً في أخباره ونظمه ومعانيه لكنه منزه عن ذلك¹. وكذلك قوله تعالى " وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْنِبُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيَّ كَمِّ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا "2، فالمنافقون إذا جاءهم خبر عن المؤمنين من ظفر أو غنيمة أو نكبة أو هزيمة أذاعوه وكان في إذاعتهم لهذا الخبر مفسدة للمسلمين ولو تركوا هذا الكلام وردوه إلى الرسول وكبار الصحابة لعلمه الذين يستخرجونه منهم أي الرسول عليه الصلاة والسلام وأولي الأمر³. وهناك آيات أخرى وردت فيها (لو) الشرطية الامتناعية ضمن خطاب الكافرين والمنافقين منها قوله تعالى " مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا "4، هذا تقرير للمؤمنين على مقدار نعمته تعالى عليهم، ولطفه بهم، أي فلو شاء لقواهم وجراهم عليكم فقاتلوكم، لكنه أنعم عليكم بالهدنة فاقبلوها⁵، إن (لو) الشرطية الامتناعية وقعت في خطاب المؤمنين ضمن سياق شرطي ايجابي، فالله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يسلط عليهم الكفرة ليقاتلوهم، فلم يقاتلوهم .

المطلب الثالث: لولا :

أداة شرط تفيد الامتناع لوجود فهمي "تدخل على جملتين اسمية فعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى، نحو (لولا زيد لأكرمك) أي لولا زيد موجود"⁶، ومن الجدير بالذكر أن الاسم المرفوع بعد (لولا) يمثل خلافة بين النحويين البصريين والكوفيين فقد "ذهب الكوفيون إلى أن (لولا) ترفع الاسم بعدها، نحو (لولا زيد لأكرمك)، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بالابتداء"⁷، وقد تناول النحاة عدة أوجه تتعلق بـ (لولا)، لكن نكتفي في هذه الدراسة بدلالاتها وهي - امتناع الجملة الثانية بسبب وجود الجملة الأولى.

1 الصابوني، صفوة التفاسير، 268/1

2 النساء : 83

3 الصابوني، صفوة التفاسير، 268/1

4 النساء : 46

5 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 330/3

6 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 359

7 أبو البركات الأنباري، كمال الدين، الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2003، 60/1

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

في سورة النساء وردت (لولا) الشرطية مرتين، الأولى في قوله تعالى " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً" ¹، أي " لولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون بإرسال الرسول ورحمته بإنزال القرآن لاتبعتم الشيطان فيما يأمركم به من الفواحش إلا قليلاً منكم" ²، والثانية في قوله تعالى " وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " ³، تجسد الآية خطاباً إلهياً عظيماً موجهاً للرسول مطمئناً له ومنبهاً له على الحق، وقيل أن الفضل والرحمة هما النبوة ونزول الوحي ⁴.

إنّ (لولا) الشرطية لم ترد في خطاب الكافرين، بل وردت في خطاب المؤمنين وخطاب الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي هذين السياقين الشرطيين ارتبطت (لولا) بـ (فضل الله ورحمته)، وهذا التكرار يحمل دلالة مشتركة، ففضل الله ورحمته على المؤمنين كان بإرسال الرسول ونزول القرآن، وفضل الله ورحمته على الرسول كان بالوحي والنبوة، وعليه فإن تكرار الجملة الأولى بعد (لولا) والتي تمثل الوجود جاء تأكيداً على معجزة عظيمة هي نبوة محمد عليه السلام ونزول القرآن الكريم، هذا الوجود الثابت والراسخ كان منجاة لمحمد من الكافرين ومنجاة للمؤمنين من الشيطان .

المطلب الرابع: أما :

حرف تفصيل، وهي قائمة مقام أداة الشرط وفعل الشرط والمذكور بعدها جواب الشرط لذلك لزمته الفاء ⁵، وذكر ابن هشام أنها حرف شرط وتفصيل وتوكيد، والدليل على أنها شرط هو اقتران الجواب بالفاء ⁶.

وردت أما (الشرطية التفصيلية) ضمن سياق المقارنة بين جزاء كلّ من المؤمنين والكافرين وذلك في قوله تعالى " فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ

1 النساء : 83

2 الصابوني، صفوة التفاسير، 268/1

3 النساء : 113

4 الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007، ص 329 .

5 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 80

6 المرجع نفسه، ص 80

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

مَنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا¹. فالشرط والتفصيل هنا جاء للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام ، فإله سبحانه وتعالى سيحشر جميع العباد يوم القيامة لمجازاتهم²، فالجنة ومضاعفة الأجر والفصل العظيم وعد من الله للمؤمنين، والعذاب الأليم وعيد وتهديد من الله للكافرين، ثم يؤكد الله سبحانه وتعالى على وعده للمؤمنين الذين آمنوا به واعتصموا به .

المطلب الخامس: كلما :

إن الدلالة التي تحققها (كلما) هي الظرفية، فالعلاقة بين جزئي التركيب الشرطي ليست علاقة (سببية) بل هي علاقة زمانية، كقولنا (كلما حضر زيد سافر عمرو) فحضور زيد ليس سبباً في سفر عمرو³، وهي عند النحاة ظرف يقتضي التكرار، مركب من (كل) و (ما)، ويكون الفعل الذي يلي (كلما) وفعل جوابها ماضيان⁴، وفي سورة النساء دلت (كلما) على الظرف المتضمن معنى الشرط، ففي قوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُضِلُّهُمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا"⁵، إن (كلما) هنا حرف شرط يدل على التكرار، يعني أنهم دائماً وأبداً في عذاب متجدد، فكما نضجت الجلود تبدلت بغيرها، والتكرار مرتبط بديمومة العذاب، وذلك من أجل استعادة الإحساس بالألم، فالجلد إذا احترق صار حائلاً دون بقية الجسم فلا يحسون بالنار لذلك يبدله الله بآخر⁶ .

وفي قوله تعالى " سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا"⁷ يرتبط السياق بالمنافقين، وقيل أنهم قوم من (أسد وغطفان) كانوا إذا أتوا إلى المدينة أسلموا وعاهدوا المسلمين ليأمنوهم فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهدهم ليأمنوا قومهم، فهم كلما دعوا إلى الكفر أو قتال المسلمين عادوا إليه وقلبو فيه على أسوأ شكل⁸.

النساء : 173

البيضاوي، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 413/1 .

الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 2011، ص 321 .

السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، 499/1

النساء : 56

العثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء) 423/1

النساء : 91

الصابوني ، صفوة التفاسير ، 272-271/1 .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

لم ترد (كلمًا) إلا في هاتين الآيتين في سورة النساء وكان ذلك ضمن تركيبين شرطيين يرتبطان بسياق الحديث عن الكافرين والمنافقين .

المبحث الثالث : الاستفهام :

أسلوب لغوي، المراد به "طلب الإفهام"¹، وهو الاستخبار عن ذات الشيء أو زمانه أو مكانه أو عن حالة أو مضمون أو معناه²، فالاستفهام أساسه طلب الفهم والفهم هو صورة ذهنية تتعلق أحياناً بشخص أو شيء أو بنسبة أو بحكم من الأحكام أو غير ذلك³ .

والاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحد، فالاستفهام مصدر استفهمت وهذه السين تقيد الطلب، وكذلك الاستعلام والاستخبار مصدرًا لـ (استعلمت واستخبرت)⁴، والاستفهام له الصدارة في الكلام، لأنه "حرف دخل على جملة تامة خبرية فنقلها من الخبر إلى الاستخبار، فوجب أن يكون متقدماً عليها ليفيد ذلك المعنى"⁵، وطلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل يكون من خلال أدوات الاستفهام وهي (الهمزة، هل، ما، متى، أيان، كيف، أين، أتي، كم، أي)، وينقسم الاستفهام إلى ثلاثة أقسام : ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى ويكون بالهمزة وما يطلب التصديق فقط ويكون به التصور فقط ويكون ببقية أسماء الاستفهام⁶، وقد ذكر الأنباري أن حروف الاستفهام ثلاثة أحرف هي الهمزة وهل وأم، وما عدا هذه الثلاثة هي أسماء وظروف أقيمت مقامها، فالأسماء هي (من، ما، كم، وكيف) والظروف هي (أين، أنى، متى، أي حين، وأيان)، و(أي) يحكم عليها بما تضاف إليه⁷ .

والاستفهام له دالتان : "الأولى : دلالة وضعية، وهي طلب الفهم، يعني أن المستفهم يطلب فهم شيء يجله من المخاطب بالاستفهام، كقول السائل : أين الطريق؟ وما اسمك؟ ومتى حضرت؟ وإلى أين تسير؟ إذا كان المستفهم يجهل الطريق واسم المسؤول وزمن الحضور والجهة التي يقصدها والثانية : دلالة مجازية، وضابطها أن يكون المستفهم ليس في حاجة إلى فهم شيء من المخاطب بالاستفهام، بل هو ينشئ معانٍ

1 السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، 482/2

2 إسماعيل، محمد بكر، قراءة النحو بأسلوب العصر، دار الفكر، القاهرة، ط1، 2004، ص176 .

3 المخزومي، مهدي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 264 .

4 ابن يعيش، شرح المفصل، 150/8 .

5 المرجع نفسه، 155/8

6 شريفي، عبد اللطيف، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2004، ص330 .

7 الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد، أسرار العربية، تحقيق بركات يوسف هبود، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 267 .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

يقتضيها المقام قاصداً إعلام المخاطب بها، لا أن يستعلم هو من المخاطب عن شيء، ومثاله قولك لمن تراه ينهر أباه : أنتهر أباك ؟ تريد أن تنكر عليه نهرة أباه وتوبيخه على ذلك¹.

فالمستفهم عن الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء أخرى منها أن يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بما السائل عارف به²، فألفاظ الاستفهام قد تخرج عن أصل وضعها "فيسفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام أهمها الاستبطاء والتعجب والوعيد والأمر والنهي والتقرير ... الخ"³.

إن الاستفهام هو أحد أنواع الإنشاء الطلبي⁴، والإنشاء هو "ما لا يحتمل الصدق أو الكذب من الكلام"⁵ فالجملة الاستفهامية هي جملة إنشائية لا تقدم خبراً يحتمل الصدق أو الكذب إلا في حالة واحدة وهي الانتقال من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، فأدوات الاستفهام "قد تخرج عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى على سبيل المجاز تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال"⁶، والاستفهام المجازي يرتبط بمعانٍ مجازية يفهمها المتلقي من السياق اللغوي عند تأمل النص وتحليله وهذه المعاني ثرية ومتنوعة وانفعالية ترتبط بمختلف أحوال المشاعر، فالاستفهام من الأساليب الجمالية في النصوص فهو يخرجها من حالة الرتبة المرافقة للواقع اللغوي الحقيقي إلى حالة إبداعية يسعى المتلقي من خلالها إلى كشف أسرار المعاني ومقاصد الخطاب، فالأدوات الاستفهامية انزاحت عن معناها الحقيقي لتصنع دلالات مختلفة تُحدد ضمن الأبعاد التداولية المعروفة وهي المرسل والرسالة والمتلقي والسياق ومختلف ظروف التخاطب، وهذه القيمة الجمالية للاستفهام هي محور الدراسة في هذا الفصل، إذ سأدرس دلالات الجمل الاستفهامية ضمن خطاب كل من المؤمنين والكافرين، وسوف يعتمد تقسيم الفصل على أدوات الاستفهام الواردة في سورة النساء .

المبحث الرابع : حروف الاستفهام (الهمزة، أم)

المطلب الأول: الهمزة :

1 المطعني، عبد العظيم ابراهيم، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 2011، 4/1 .

2 ابن جني، الخصائص 464/2 .

3 حسان، تمام، الأصول ، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو- فقه اللغة – البلاغة ، ص315 .

4 عتيق، عبد العزيز، في البلاغة العربية، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص88 .

5 المرجع نفسه، ص 74 .

6 المرجع نفسه، ص 95 .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

وصف النحاة (الهمزة) بأنها أم الباب والغالبة عليه والأصل فيه¹ وأنها أكثر تصرفاً من (هل)²، ويرى بعض النحاة أن الفرق بين (الهمزة) و (هل) هو أن (الهمزة) لا يستفهم بها إلا وقد هجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه، بخلاف (هل)، فإنه لا يترجح عنده لا (النفي) ولا (الإثبات)³، والهمزة تأتي لطلب التصوّر والتصديق بخلاف (هل) فهي للتصديق خاصة، وبقيّة الأدوات للتصوّر خاصة⁴.

وهمزة الاستفهام "تدخل على الأسماء والأفعال"⁵، وذكر بعض النحاة أن التقرير هو المعنى الملازم للهمزة، وأن بقيّة المعاني التي قد تدل عليها كالتوبيخ والتحقيق والتذكير وغيرها تنجرّ مع التقرير⁶، وهمزة التقرير تنقل النفي إلى الإثبات والإثبات إلى النفي، ففي (ألستم خير من ركب المطايا) نقل من النفي إلى الإثبات أي أنتم كذلك، وفي (الله أذن لكم) نقل من الإثبات إلى النفي، أي الله لم يأذن لكم⁷، ومن معاني الهمزة الإنكار والتوبيخ والتعجب والاستبطاء⁸ وغيرها .

ومن الأمثلة على همزة الاستفهام في سورة النساء سؤال يوجهه الله سبحانه وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ضمن خطاب كفار اليهود، قوله تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُورُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۖ اَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا " ⁹، في هذه الآية دخلت همزة الاستفهام على (لم)، وإذا دخلت على (لم) أفادت معنيين، التنبيه والتذكير، والتعجب من الأمر العظيم¹⁰، فالسؤال الموجه لمحمد عليه الصلاة والسلام يحمل دلالة التعجب من حال كفّار اليهود الذين اختاروا الضلالة على الهدى وآثروا الكفر على الإيمان على الرغم من أنهم أعطوا حظاً من علم التوراة، وهذا الاستفهام تضمن أيضاً دلالة التحذير، فهؤلاء الكفار يريدون لمعشر المؤمنين أن يضلوا طريق الحق ليكونوا مثلهم¹¹، فالله سبحانه وتعالى لا يسأل محمداً صلى الله عليه وسلم سؤالاً حقيقياً، بل جاء السؤال نمطاً

¹ السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 483/2 .

² ابن يعيش، شرح المفصل، 150/8 .

³ المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 343 .

⁴ السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 483/2 .

⁵ المرادي، الجنى الداني، ص 30 .

⁶ المرجع نفسه، ص 34

⁷ ابن جني، الخصائص، 463/2 - 464 .

⁸ السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 483/2 _ 484 .

⁹ النساء : 44.

¹⁰ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1030/2

¹¹ الصابوني، صفوة التفاسير، 256/1 .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

انفعالياً تعجبياً يؤكد أن محمداً يرى ويعلم بحال هؤلاء المنافقين لكنه يدعوهم إلى الحذر هو وأتباعه من المؤمنين .

ويتكرر هذا النمط الجملي الاستفهامي في قوله تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ¹ "، وهذا التكرار يؤكد على فكرة التعجب من حال المسؤول عنهم وهم كفار اليهود الذين أعطوا حظاً من التوراة ومع ذلك يؤمنون بالأوثان والأصنام ويقولون لكفار قريش أنتم أهدى سبيلاً من محمد وأتباعه، وكأن تكرار جملة الاستفهام كان ناتجاً عن شدة التعجب ولا غرابة في ذلك فـ "الاستفهام والتعجب بينهما تلازم، لأنك إذا تعجبت من شيء فبالحري أن تسأل عنه ²، وعليه فإن الله سبحانه وتعالى يدعو محمداً عليه السلام من خلال هذا الاستفهام إلى أن يتعجب ويحذر من هؤلاء اليهود الذين يفضلون الكفار على المسلمين بسبب جهلهم وكفرهم لكتاب الله سبحانه وتعالى ³ .

وما زال الخطاب القرآني يتعجب من أمر هؤلاء اليهود وذلك بتوجيه سؤال آخر لمحمد عليه السلام في قوله تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ⁴ " هذا الاستفهام المجازي الذي يؤكد على ذات الدلالة ويوحي بأهميتها وهي العجب أشد العجب من هؤلاء اليهود الذين يزكون أنفسهم ويثنون عليها في حين أن تركية الله سبحانه وتعالى هي المعتد بها، فهو يزكي من يستحق من عباده المؤمنين ⁵ .

نلاحظ أن الخطاب القرآني المتعلق بكفار اليهود يرتبط بألفاظ وجمل تتناسب مع دلالة التعجب، فالجمل الفعلية (يشترون الضلالة ويؤمنون بالجبب والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ويزكون أنفسهم) تشعنا بالجرم العظيم الذي اقترفه هؤلاء الكفار، فكل هذه الأفعال السيئة التي يقومون بها تستدعي انفعالياً يرافقه تعجب شديد بالإضافة إلى ضرورة الحذر منهم .

ينتقل الخطاب القرآني للتعجب من حال المنافقين بتكرار توجيه السؤال لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ⁶ "، هذا الاستفهام الموجه لمحمد

1 النساء : 51

2 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1172/2 .

3 الصابوني، صفوة التفاسير، 258/1

4 النساء : 49

5 البيضاوي، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 362/1 .

6 النساء : 60

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

عليه السلام إنما هو دعوة له ليتعجب من هؤلاء المنافقين الذي يزعمون بأنهم يؤمنون بما أنزل إليك وهو القرآن وما أنزل من قبلك وهو التوراة والإنجيل¹، ووجود الفعل (يزعمون) يؤكد كذبهم ونفاقهم، فالزعم هو "الكذب"²، فدلالة الاستفهام هي التعجب أيضاً .

وتستمر دلالة التعجب ضمن خطاب المنافقين في قوله تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا "³ أي ألا تتعجب يا محمد من كفار أهل الكتاب ومشركو العرب الذين طلبوا القتال ثم جبنوا وفزعوا وقد طلب منهم أن يكفوا أيديهم عن القتال وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة أولاً، والكف عن القتال هنا للمنافقين ولما كتب عليهم القتال تراجعوا وكانت خشيتهم من الناس أشد من خشية الله⁴، والخطاب القرآني المتضمن للاستفهام المتكرر الموجه لمحمد عليه السلام إنما هو للتعجب من حال المستفهم عنهم وهم المنافقون.

ونؤكد أن هذا الاستفهام المنفي (ألم تر) يفيد الإثبات كما ذكرنا سابقاً عن دلالة اقتران الهمزة بالنفي، فالرسول عليه الصلاة والسلام (يرى)، ومن الجدير بالذكر أن تكرار هذا النمط الجملي الاستفهامي (ألم تر) الموجه لمحمد عليه الصلاة والسلام، ليس تكراراً عادياً بل هو قيمة جمالية زادت النص القرآني إقناعاً وتماسكاً دلاليًا، هذا الاستفهام المتكرر لا يُراد منه إجابة محددة كما هو في العرف المعيارى النحوي، بل هو استفهام انحرف عن غايته الحقيقية ليصبح أسلوباً مجازياً لا يطابق في دلالاته المجازية الدلالة الحقيقية، وهذه الدلالة المجازية يستطيع القارئ أن يتوصل إليها من خلال الموقف والسياق وحال المخاطب .

ومن الأمثلة أيضاً (ألم نكن معكم) و (ألم نستحوذ عليكم) ضمن خطاب المنافقين قوله تعالى " الَّذِينَ يَرَبُّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوَذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا"⁵، الاستفهام جاء على لسان المنافقين فهم إذا أصاب المؤمنين النصر والتأييد والظفر والغنيمة قالوا لهم (ألم نكن معكم) وإن حصل الكافرون على الظفر والنصر قالوا لهم (ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين)

1 الصابوني ، صفوة التفاسير ، 262/1 .

2 ابن منظور، لسان العرب، (زعم) 264/12

3 النساء : 77

4 أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط ، 309/3 – 310 .

5 النساء : 141

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

أي ساعدوهم حتى انتصروا على المؤمنين¹، والاستفهام هنا يفيد التقرير²، المرتبط بالإثبات فالمنافقين أرادوا منه في قولهم (الم نكن معكم) أنهم كانوا معهم، وفي قولهم (ألم نستحوذ عليكم ومنعكم من المؤمنين) أنهم استحوذوا عليهم ومنعوهم من المؤمنين، وما قولهم هذا إلا لضعف إيمانهم وقلة يقينهم، وهؤلاء المنافقون سيجمعهم الله مع الكافرين في جهنم³.

ومن الآيات التي وردت فيها همزة الاستفهام ضمن خطاب الكافرين والمنافقين قوله تعالى " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"⁴، وذكر النحاة أن همزة الاستفهام قد تدخل على واو العطف والفاء وثم تنبيهاً على أصالتها في التصدير، والعطف على جملة مقدرة بينهما وبين حرف العطف فمثلاً في قوله تعالى " أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ "⁵ التقدير أنه هلككم فنضرب عنكم الذكر صفحاً⁶، وانطلاقاً من هذا الرأي فقد ذكر الألوسي في قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) تقديراً هو أيشكون فلا يتدبرون⁷، والواقع أنه لا حاجة لتأويل جملة غير موجودة، فجملة الاستفهام بطبيعتها لا تمثل بنية مستقرة كالجملة الخبرية لذلك فهي تحتل دلالات مختلفة، وعليه فإن التأويل النحوي يفقدها هذا الجانب الجمالي والمجازي، حتى أن بعض النحاة لم يؤيدوا هذا الرأي فأبو حيان يذكر أنه "تقدير ما لا دليل عليه من غير حاجة إليه، وقال ابن هشام يضعفه ما فيه من التكلف، وأنه غير مطرد"⁸، وفي قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) يخاطب الله عز وجل الكافرين والمنافقين أمراً لهم بتدبر القرآن ونهاياً لهم عن الإعراض عنه⁹، فالله سبحانه وتعالى لا يستفهم بل يأمر وينهي.

وقد وردت همزة الاستفهام متبوعة بفعل مضارع مثبت ضمن خطاب المنافقين في قوله تعالى " الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيْبَتُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا "¹⁰، الخطاب في هذه الآية عن المنافقين الذين يوالون الكافرين من دون المؤمنين وهي صفة للمنافقين تكرر ورودها، لأن هذا

1 البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل ، 301/1

2 يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه وإعرابه، مطبعة الشام، دمشق، ط1، 2000، ص 38

3 الصابوني ، صفوة التفاسير ، 287/1

4 النساء : 82

5 الزخرف : 5

6 ابن هشام، مغني اللبيب، ص23

7 الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه علي بن عبد الباري عطية،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، 89/3 .

8 السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، 483/3

9 الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير ، 428/1 .

10 النساء : 139

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

هو دأبهم وعادتهم¹، وجملة الاستفهام (أبيتغون عندهم العزة) ضمن هذا السياق تؤكد إنكار فعلهم، وتأكيدا لدلالة الإنكار أتبعتم جملة الاستفهام بجملة اسمية هي (فإن العزة لله جميعاً)، وهي جملة تؤكد بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فالعزة لله وحده².

ومن الأمثلة على اقتران همزة الاستفهام بـ (لَمْ) ضمن خطاب المؤمنين الذين لم يهاجروا، وكان مصيرهم النار قوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۗ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۗ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " ³ الاستفهام (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) موجه لمن دخلوا الإسلام لكنهم رفضوا الهجرة وظلموا أنفسهم بالبقاء مع الكفار في دار الشرك فاستضعفهم الكفار فعجزوا عن إقامة دين الله، فهؤلاء مأواه النار ساءت مقراً ومصيراً⁴، وكما ذكرنا فإن دخول الهمزة على النفي يفيد الإثبات بمعنى أن أرض الله كانت واسعة وكانوا يستطيعون الهجرة ليحافظوا على دينهم لكنهم جبنوا وضعفوا أمام المشركين، والاستفهام هنا تقريرى إنكارى⁵.

وضمن خطاب فئة من المؤمنين فقد وقعت همزة الاستفهام متبوعة بفعل مضارع مثبت في قوله تعالى " فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا " ⁶، فجملة الاستفهام (أتريدون) تفيد الإنكار، فالله سبحانه وتعالى يخاطب هؤلاء المؤمنين منكرًا عليهم اختلافهم في المنافقين، ففرقة تقول نقلتهم وفرقة تقول لا، فكيف يختلف المؤمنون فيهم وقد أضلهم الله بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول وإتباعهم الباطل⁷، فالاستفهام دلالة الإنكار، ومما يؤكد هذه الدلالة جملة (أضل الله) في قوله تعالى (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) فالجملة الفعلية (أضل الله) تفيد تأكيد الإنكار، لما في اسم الجلالة من دلائل القوة والإمضاء، وهي دلالة مقصودة إذ كان من الممكن أن يُضمر الفاعل، لكن ذكره أضفى تأكيداً وقوة للمعنى⁸. وذكر الألوسي أن فيه معنى التوبيخ للفئة القائلة بإيمان أولئك المنافقين⁹، والإنكار التوبيخي مرتبط بلوم الفاعل¹⁰.

1 المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، 231/1

2 المصدر نفسه، 231/1

3 النساء : 97

4 الصابوني، صفوة التفاسير، 276/1

5 يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه وإعرابه، ص37

6 النساء : 88

7 الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير 431/1-432

8 المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم 223/1.

9 الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 104/3

10 ابن هشام، مغني اللبيب ص 25

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

ويكرر الاستفهام الموجه لبعض المؤمنين وهو (أتريدون) في قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا" ¹، فالله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين ناهياً إياهم عن موالاة الكافرين كما فعل المنافقون، والاستفهام الموجه لهم وهو (أتريدون) أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً) أي حجة بينة يعذبكم بها الله بسبب ارتكابكم لما نهاكم عنه من موالاة الكافرين، فالاستفهام هنا وقع ضمن سياق التقرع والتوبيخ ²، ومن الجدير بالذكر أن تكرار النمط الجملي الاستفهامي (أتريدون) ضمن خطاب تلك الفئة من المؤمنين يثبت أن جملة الاستفهام هي جملة إنفعالية "والواقع أن اللغة النحوية المنظمة لا تستقل عن اللغة الإنفعالية" ³.

ومن أمثلة الاستفهام بالهمزة المتبوعة بفعل مضارع مثبت ضمن خطاب المؤمنين قوله تعالى "وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا" ⁴، وهذه الآية من آيات الأحكام التي توضح حقوق المرأة فيما يتعلق بأمور الطلاق والمهر، فالخطاب الإلهي موجه للمؤمنين الذين يرغبون بنكاح امرأة مكان المرأة المطلقة، فالحكم هو أن يدفعوا مهر المرأة المطلقة كاملاً لا ينقص منه شيء ولو كان ما دفعوه مهراً كبيراً يبلغ قنطاراً ⁵، والاستفهام "استفهام إنكاري، أي تأخذونه باطلا وظلماً؟" ⁶ وجملة الاستفهام (أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً) وقعت بعد النهي (فلا تأخذوا منه شيئاً) وهذا السياق اللغوي الذي يرتبط بخطاب بعض المؤمنين الذين لم يلتزموا بأمر الله يؤكد دلالة الإنكار، وذكر الشوكاني أن الاستفهام هنا يفيد الإنكار والتقرع ⁷.

أَمْ :

صنفها النحاة من حروف الاستفهام ⁸، وتكون على ضربين، متصلة ومنقطعة ⁹، أما المتصلة فهي المعادلة لهمزة التسوية أو لهمزة الاستفهام، وأما المنقطعة هي التي لا يكون قبلها إحدى الهمزتين، وقال بعضهم أنها

1 النساء : 144

2 الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، راجعه يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007، ص 338

3 فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الإنجلو المصرية، (د.ط)، ص 196 .

4 النساء : 20

5 الصابوني ، صفوة التفاسير ، 244/1

6 المرجع نفسه ، 244/1

7 الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص 282 .

8 الانباري، أبو البركات، أسرار العربية، ص 267

9 المرجع نفسه، ص 221

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

تقدّر ب (بل) مطلقاً وذكر ابن مالك أن الأكثر أنها تدل على الإضراب مع الاستفهام، وقد تدل على الإضراب فقط، وقدّر بعضهم (أم) بالهمزة وحدها، وذهب بعضهم إلى أنها قد تكون زائدة¹.

وذكر الأنباري أنها بمنزلة (بل) والهمزة، "كقولهم : "إنّها لإبل أم شاء" والتقدير فيه "بل أهي شاء" ولا يجوز أن تقدّر (بل) وحدها والذي يدل على ذلك قوله تعالى "أم له البنات ولكم البنون"²، ولو كان بمعنى (بل) وحدها لكان التقدير (بل له البنات ولكم البنون) وهذا كفرٌ محض، فدل على أنها بمنزلة (بل والهمزة)³.

وذكر السهيلي أنه إذا وجدنا أم وليس قبلها استفهام في اللفظ "فهو متضمن في المعنى معلوم بقوة الكلام"⁴، وهنا إشارة إلى القوة الكلامية أي كيفية النطق بالجملة الاستفهامية، فهي في معناها ونطقها تشير إلى أنها للاستفهام .

وردت (أم) الاستفهامية في سورة النساء في موضعين ضمن خطاب كفار اليهود هما قوله تعالى " أمَّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا "⁵، وهذا استفهام إنكاري، أي ليس لكفار اليهود نصيب من الملك "وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بالبخل (فإذا لا يؤتون الناس نقيرا) أي لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحداً من الناس ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً ولا ما يملأ النكير وهو النقطة التي في النواة وفي قوله تعالى "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله" فإن المقصود هو "حسدهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما رزقه الله من النبوة العظيمة ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل"⁶، والاستفهام في الموضعين إنكاري⁷.

المطلب الثاني : أسماء الاستفهام (كيف، مَنْ، ما، ماذا، أي)

1/ كيف:

1 المرادي، الجني الداني، ص 204-206

2 الطور : 39

3 الأنباري، أبو البركات، أسرار العربية، ص 221

4 السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، نتائج الفكر في النحو، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، (د.ط)، (د.ت) ص 260

5 النساء : 54

6 الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير، 416/1

7 يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعراجه، ص 35

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

اسم استفهام للسؤال عن الحال¹، ويعرب عند النحاة خبراً للمبتدأ مثل (كيف أنت؟) وخبراً للفعل الناقص مثل (كيف كنت؟) ومفعولاً ثانياً مثل (كيف ظننت زيدا) وحالاً بعد تمام عناصر الجملة مثل (كيف جاء زيد)².

واسم الاستفهام (كيف) إما أن يكون حقيقياً ويتطلب إجابة محددة مثل (كيف زيد) وإما أن يكون مجازياً كقوله تعالى "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ"³، والمجازي لا يتطلب إجابة بل خرج عن المعنى الحقيقي⁴ إلى معانٍ أخرى يحددها السياق .

وردت (كيف) ضمن خطاب المؤمنين في قوله تعالى "وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا"⁵، وهذه الآية من آيات الأحكام وهي تابعة لما ذكرناه سابقاً عن حق المرأة المطلقة في الحصول على مهرها، والاستفهام بـ (كيف) في (كيف تأخذونه) موجه للمؤمنين الذين يأخذون مهر المرأة المطلقة وقد جاء هذا الاستفهام تالياً لقوله تعالى "وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِخْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا"⁶، فالله سبحانه وتعالى نهى المؤمن عن أخذ مهر الزوجة إذا طلقها وأراد استبدالها، فالاستفهام الواقع بعد النهي وهو (أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً) و(كيف تأخذونه) يفيد النهي والإنكار⁷، فالله سبحانه وتعالى لا يستفهم عن الكيفية بل يستنكر هذا الفعل من المؤمنين .

وجاء أسلوب الاستفهام بـ (كيف) ضمن خطاب كفار اليهود في قوله تعالى "انْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ ۖ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا"⁸، ابتدأت الآية بفعل الأمر (انظر) والمقصود محمد عليه السلام، والأمر هنا دلالة التعجب⁹، والمستفهم عنهم في هذا الخطاب هم كفار اليهود، أي انظر يا محمد كيف اختلقوا على الله الكذب، وصيغة (يفترون) التي تدل على الملابس والديمومة أن الكذب المتعجب منه دائم وعام وصفة فيهم¹⁰. والتعجب هنا من نوع الافتراء الذي يفترونه لا من كيفيته¹¹.

1 ابن يعيش، شرح المفصل، 109/4 .

2 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 271 .

3 البقرة : 28

4 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 271 .

5 النساء : 21

6 النساء : 20

7 الصابوني، صفوة التفسير، 244/1

8 النساء : 50

9 الصابوني، صفوة التفسير، 259/1

10 أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، 282/3

11 السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، 259/4

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

وفي قوله تعالى " فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا " ¹، فإن المقصود "كيف يكون حالة الكفار والفجار حين نأتي من كل أمة نبيها يشهد عليها، ونأتي بك يا محمد لتشهد على العصاة والمكذبين من أمتك بالجوحد والعصيان؛ كيف يكون موقفهم؟ وكيف يكون حالهم؟" ²، والاستفهام هنا عن حال الكفار، والله سبحانه وتعالى لا يريد إجابة، فحال الكفار معروف في هذا الموقف العظيم، لذا فقد خرج الاستفهام عن دلالة الحقيقية إلى دلالة التفخيم والتعظيم والتعجب ³. وذكر الصابوني أن الاستفهام هنا وقع للتوبيخ والتفريع ⁴. ونرجح أن الاستفهام ضمن هذا الخطاب يحمل كل تلك الدلالات، فالحالة الانفعالية الناجمة عن هول المشهد تستحضر دلالات متداخلة تتناسب مع هذا السياق .

المطلب الثالث: مَنْ :

للسؤال عَمَّنْ يَعْقِلُ ⁵، وذكر ابن هشام أَنَّ مَنْ الاستفهامية أشربت معنى النفي، كقوله تعالى " ومن يغفر الذنوب إلا الله " ⁶، ولا يتقيد جواز ذلك بأن يتقدمها الواو خلافاً لرأي ابن مالك، بدليل "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" ⁷، وقد تتصل (مَنْ) بـ (إذا) مثل (منذ ألقيت؟) فَ (مَنْ) مبتدأ و(إذا) خبر ⁸. وما ذكره النحاة من أنها أشربت معنى النفي، إشارة إلى أن أبرز معانيها البلاغية هو النفي وهي عند البلاغيين أيضاً "التي أشربت معنى النفي" ⁹.

1 النساء : 41

2 الصابوني ، صفوة التفسير ، 253/1 .

3 العثيمين، تفسير القرآن الكريم، 334/1

4 الصابوني، صفوة التفسير ، 253/1

5 أبو سعيد الأنباري، أسرار العربية، ص268

6 آل عمران : 135

7 البقرة : 255

8 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 431-432 .

9 الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، 1175/2 .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

وردت (مَنْ) الاستفهامية ضمن خطاب يتعلق بالخالق جل وعلا في قوله تعالى " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " ¹ فالله سبحانه وتعالى منشئ الخطاب القرآني يمجّد نفسه في هذه الآية ويعلن عظّمته وهيمنته على الكون فهو الخالق المتفرد بالسلطان وإليه المصير، والاستفهام هنا حمّله بعض الأئمة على الإنكار كما يحملون نظائره ²، وبعضهم حمّله على الإنكار والنفي ³، والأقرب إنه للنفي، لأن الإنكار والنفي يستدعي وجود طرف يدّعي خلاف ما ينكر عليه، وحتى وإن ادّعى مدّع والعياذ بالله أنه أصدق من الله فلا يقام لادعائه وزن ⁴، لذلك فالاستفهام هنا خرج إلى دلالة النفي ⁵، وصيغة (أصدق) في هذا السياق لا يتصور أن يكون فيها تفاوت، إذ لا أحد أكثر صدقاً من الله سبحانه وتعالى ⁶.

ويتكرر هذا الاستفهام في قوله تعالى " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا " ⁷ ليؤدي الدلالة ذاتها وهي النفي، فلا أحد أصدق قولاً أي خبراً من الله سبحانه وتعالى ⁸، ومن الجدير بالذكر أنه "لما كان التعبير في الثانية مرتبطاً بقوله تعالى (وعد الله حقاً) فقليل عندها ما يناسبها وهو قوله تعالى (ومن أصدق من الله قِيلاً) لأن الوعد هو قول، أما قوله تعالى (ومن أصدق من الله حديثاً) فقد تقدمها الحديث عن البعث والجمع والجزاء وهي أمور غيبية تمثل النبأ الصادق والشامل من الله تعالى ⁹

وفي قوله تعالى " وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا " ¹⁰، فالخطاب هنا موجه لجميع الأديان ¹¹، والمقصود أنه "لا أحد أحسن ديناً ممن انقاد لأمر الله وشرعه وأخلص عمله لله" ¹²، والاستفهام بـ (مَنْ) هنا يفيد النفي أيضاً.

1 النساء : 87

2 المطعني، عبد العظيم ابراهيم ، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، 221/1

3 العمادي، أبو السعود بن محمد، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، (د.ط) 367/1

4 المطعني ، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، 221/1

5 يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، ص 36

6 الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 102/3

7 النساء : 122

8 الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير 452/1

9 القبيسي، فاطمة بنت صالح، المتشابه اللفظي في سورة النساء، مجلة كلية دار العلوم/ مجلد 19، عدد 138، ص 553

10 النساء : 125

11 الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير، 452/1

12 الصابوني، صفوة التفاسير ، 282/1

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

المطلب الثالث: ما :

اسم استفهام "السؤال عن ذوات غير الآدميين، ولصفات الآدميين. تقول من عندك؟ فيقول : زيدٌ. فتقول ما زيدٌ؟ فيقول جواد أو بخيل أو نحو ذلك، فإنما هو لسؤال عن نعت الآدميين"¹، و(ما) الاستفهامية معناها أي شيء، ومن القواعد المتعلقة بها أنه يجب حذف ألفها إذا سبقت بحرف جر وتبقى الفتحة دليلاً على الألف المحذوفة، مثل (فِيمَ وَالْأَمَّ وَعَلَامَ وَبِمَ)². ويسأل بـ (ما) عن حقيقة الشيء، قال تعالى " إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا "³ فهذا سؤال عن حقيقة سبحانه وتعالى⁴.

وقد تخرج (ما) الاستفهامية عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى كالتعظيم والتخيم والتحقير والحث والإنكار والإلزام والاستبعاد⁵، وغيرها، وهذه الدلالات يحددها السياق وظروف الخطاب .

ويوجه الله سبحانه وتعالى استفهاماً آخر بـ (ما) لفئة من المؤمنين في قوله تعالى " فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا "⁶، وقد اشرنا سابقاً إلى هذه الآية عند الحديث عن الاستفهام بالهمزة، وقد ورد الاستفهام بـ (ما) في الآية ذاتها ليؤدي الدلالة ذاتها وهي التعجب والإنكار من حال المؤمنين الذين انقسموا إلى فرقتين في شأن المنافقين، والأصل أن لا يختلفوا في أمرهم ولا يظنوا فيهم الخير لأن الله حكم بضلالهم⁷، وقد نستشعر معنى التوبيخ في هذا السياق، لكن ما فيه من معنى التوبيخ ليس موجهاً لجميع المؤمنين بل لبعضهم⁸، أي لفئة المتعاطفة مع المنافقين .

إن جملتي الاستفهام السابقتين (ما لكم لا تقاتلون) و (ما لكم في المنافقين فئتين) تكرر فيهما النمط الاستفهامي (ما لكم)، وهذا التكرار تأكيد على أهمية النمط الاستفهامي الانفعالي جمالياً ودلالياً، وكما ذكرنا فإن هاتين الجملتين الاستفهاميتين تحملان دلالات الإنكار والتعجب والتوبيخ، ولا يمنع أن ترتبط هذه

1 المبرد، المقتضب، 52/2

2 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 393

3 الفرقان : 60

4 السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو ، 261/4

5 المرجع نفسه، 262/4

6 النساء : 88

7 الصابوني ، صفوة التفاسير ، 271/1

8 العمادي، أبو السعود بن محمد، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 367/1

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

الدلالات بخطاب المؤمنين، فالاستفهام له وقع في نفس المخاطب فيستميله ويدفعه إلى الحرص على التعلم والرغبة في تحصيله خاصة إذا كان من أهل الحرص عليه¹.

ويخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين المتخلفين عن الجهاد في قوله تعالى "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا"²، حذف ألف (ما) الاستفهامية بسبب اتصالها بحرف الجر (اللام)، وهذا الاستفهام وقع ضمن سياق انفعالي نستشعر من خلاله التوتر والخوف عند فئة من المؤمنين جبنوا عن القتال، فقد "كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة والصبر على أذى المشركين وكانوا يتحرقون لو أمروا بالقتال ليشفقوا من أعدائهم فلما أمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم وخاف من مواجهة الناس خوفاً شديداً (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) أي وقالوا جزعاً من الموت لم فرضت علينا القتال"³، فالاستفهام نمط لغوي انفعالي يعبر عن شدة خوفهم.

ومن الأمثلة على (ما) الاستفهامية في سورة النساء ضمن خطاب المنافقين قوله تعالى "ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً"⁴، المخاطبون في هذه الآية هم المنافقون الذين تابوا وأصلحوا، فالاستفهام موجه لهم، ودلالته هي النفي، فليس هناك منفعة لله سبحانه وتعالى من عذابكم وعقابكم إذا شكرتم وآمنتم⁵.

وفي قوله تعالى "أَيُّمًا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ۚ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا"⁶، الخطاب هنا يتعلق بالمنافقين الذين لا يفقهون أن كل شيء بتقدير الله سبحانه وتعالى⁷، والدلالة

1 عيده، ناغش، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين، دراسة نحوية بلاغية تداولية (رسالة ماجستير)، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2012، ص 74.

2 النساء: 77

3 الصابوني، صفوة التفاسير، 267/1.

4 النساء: 147

5 أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 397/3

6 النساء: 78

7 الصابوني، صفوة التفاسير، 268/1

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

التي خرج إليها الاستفهام هي "التعجب من هذه المقالة، وكيف ينسب ما هو من عند الله لغير الله"¹، كما يتضمن دلالة الإنكار²، والتوبيخ³.

ونجد المفسرون يختلفون في تحديد المخاطبين في قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۗ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"⁴، فمنهم من يقول بأنهم المستضعفون من أسرى المسلمين ومنهم من يقول بأنهم كفار ومنهم من يقول بأنهم العصاة بالتخلف في الهجرة وهم قادرون⁵، حذفت ألف (ما) الاستفهامية بعد حرف الجرّ (في) في قوله (فيم)، ويبرز في هذه الآية حواراً يتمثل في وجود جملة الاستفهام وجملة الجواب، وهذا الاستفهام يبدو حقيقياً على المستوى الظاهري، فوجود الجواب يشعرنا بمعيارية الاستفهام وخضوعه للقاعدة التي تنص على وجود جواب للسؤال، لكن في حقيقة الأمر فإن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى إجابة فهو أعلم بما في الصدور، وجملة الاستفهام ليس جملة مستقرة كالجملية الخبرية بل هي جملة انفعالية⁶، فلا يخفى التوتر الشديد الذي يظهر في إجابة هؤلاء الذين لم يهاجروا ويخرجوا من ديار الكفر، فحجتهم أنهم كانوا مستضعفين في الأرض ولا يقدرّون على الخروج⁷، والله جلّ وعلا لا يريد منهم جواباً بل جاء الاستفهام مجازياً خرج إلى دلالاتي التقرير والتوبيخ⁸.

المطلب الرابع: ماذا :

تأتي (ماذا) في العربية على أوجه⁹

- 1- أن تكون (ما) استفهامية و(ذا) إشارة .
- 2- أن تكون (ما) استفهامية و(ذا) موصولة .
- 3- أن يكون (ماذا) كله استفهاماً على التركيب .

1 أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 312/3

2 المرجع نفسه، 312/3

3 يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، ص 36

4 النساء : 97

5 أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 349/3 .

6 لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة د.عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية -بغداد، ط1، 1987، ص 153.

7 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 542/1

8 بناني، خديجة محمد أحمد، سورة النساء، دراسة بلاغية تحليلية(رسالة دكتوراه) جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001، ص280

9 ابن هشام، مغني اللبيب، ص 395-397 .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

4- أن يكون (ماذا) اسم جنس بمعنى شيء أو موصولاً بمعنى الذي .

5- أن تكون (ما) زائدة و (ذا) للإشارة .

6- أن تكون (ما) استفهاماً و (ذا) زائدة .

وردت (ماذا) في سورة النساء في موضع واحد ضمن خطاب الكافرين، هو قوله تعالى " وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ¹، جملة الاستفهام هنا جاءت متبوعة بجملة شرط محذوف جوابها، وقد حذف الجواب بسبب دلالة الاستفهام عليه ²، والاستفهام هنا مجازي انفعالي وقع ضمن خطاب الكافرين ودلالته هي توبيخ الكافرين بسبب عدم إيمانهم وبخلهم وعدم إنفاقهم في سبيل الله ³ .

المطلب الخامس: أي :

تأتي على خمسة أوجه هي : الوصفية والحالية والموصولة والاستفهامية والشرطية ⁴، ويتميز كل منها عن الآخر بالاستعمال ⁵، وأي الاستفهامية يجوز فيها الإضافة والقطع عنها، كما يجوز إضافتها إلى النكرة والمعرفة، ومن أمثلة إضافتها إلى النكرة قوله تعالى "فبأي حديث بعده يؤمنون" ⁶، أما إضافتها إلى المعرفة قوله تعالى "يا أيها الملأ أياكم يأتييني بعرشها" ⁷ ومثال القطع عن الإضافة قولك (أيا يا فتى) جواباً لمن قال : ضربت رجلاً ⁸، وأي تأخذ الحكم الإعرابي للنكرة المسؤول عنها، "فتقول لمن قال (جاءني رجل) : (أي)، ولمن قال : (رأيت رجلاً) : (أياً) ولمن قال (مررت برجل) : (أي) ⁹ .

وردت (أي) في آية واحدة فقط في سورة النساء ضمن خطاب المؤمنين هي قوله تعالى "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ

1 النساء : 39

2 العثيمين، تفسير القرآن الكريم، 326/1

3 المرجع نفسه، 326/1

4 الفرواني، الخلاصة في النحو، مكتبة المتنبي، الدمام، السعودية، ط1، 2017، ص 215 .

5 السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، 140/2

6 المرسلات : 50

7 النمل : 38

8 الفرواني، الخلاصة في النحو، ص 215 .

9 ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار العلم والمعرفة، مكتبة التقوى، القاهرة، (طبعة جديدة) 2023، 283/2

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

نَفْعًا ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ¹ وقعت هذه الآية ضمن سياق الحديث عن الوصية والميراث، وجملة الاستفهام فيها هي (أَيُّهُمْ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْعًا) والمعنى أن الله سبحانه وتعالى قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة، وإذا وكل ذلك إليكم لم تعلموا أَيُّهُمْ أَنْفَعُ لَكُمْ فتضعون الأموال على غير حكمة، ولذا أتبع هذا الاستفهام بقوله (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)، والآباء والأبناء يتفاوتون في النفع حتى لا يدري المؤمن أَيُّهُمْ أَقْرَبَ نَفْعًا، فالأولاد ينتفعون في صغرهم بالآباء، والآباء ينتفعون في كبرهم بالأبناء، إن القسمة هي القسمة التي اختارها الله وشرعها وأن الآباء والأبناء الذين شرع في ميراثهم ما شرع لا ندري نحن أَيُّهُمْ أَقْرَبَ نَفْعًا، فلا نخوض فيما لا نعلمه، فهي أحكام تتعلق بالشارع، فالذي شرعها هو الحق، لا نعلم نحن عللها ولا ندركها بل يجب التسليم فيها لله ولرسوله، و(أَيُّهُمْ) استفهام تعلّق عن العمل في لفظه، لأن الاستفهام في غير الاستثبات لا يعمل فيه ما قبله²، وذكر سيبويه أن (أَيُّهُمْ) قد تكون موصوفة مبنية على الضم، لأن أيًا في غير الاستفهام أو الجزاء بمنزلة (الذي)³ فأي في موضع نصب مفعول به للفعل (تدرون)، و(أقرب) خبر مبتدأ محذوف تقديره (هم أقرب)⁴.

إنّ الاستفهام الواضح ضمن خطاب المؤمنين (أَيُّهُمْ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْعًا) لم يكن استفهاماً حقيقياً، فالسائل وهو الله سبحانه وتعالى لا يسأل بل يقدّم خبراً وهو أنكم لا تعلمون الحكمة من قسمة الميراث في توزيع الميراث ولن تعلموا أبداً فعلمه عند الله فقط .

لقد سعت الدراسة في هذا الفصل إلى دراسة كل الآيات التي استعملت على أسلوب الاستفهام لسببين هما: أن أسلوب الاستفهام كان أقل استعمالاً من أسلوب الشرط في سورة النساء، وبالتالي فإنه كان من الممكن حصر جميع الأمثلة وتحليلها. والثاني هو الكشف عن العلاقة بين دلالات الاستفهام ضمن خطاب الكافرين ودلالات الاستفهام ضمن خطاب المؤمنين .

نلاحظ بعد أن درسنا السياقات الاستفهامية في سورة النساء أن أسلوب الاستفهام كان أكثر شيوعاً ضمن خطاب الكافرين وقد ارتبط بدلالات سلبية تناسب واقعهم وحالهم ومصيرهم كالتعجب والتوبيخ وغيرها، أما بالنسبة لخطاب المؤمنين فقد كان أقل شيوعاً، كما أنه كان موجهاً لفئة معينة من المؤمنين كالذين جنبوا عن القتال أو الذين رفضوا أن يهاجروا في سبيل إقامة دين الله أو الذين اختلفوا في أمر المنافقين أو الذين

1 النساء : 11

2 سيبويه، الكتاب، ص 398/2 .

3 المرجع نفسه ، ص398/2

4 أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 195/3

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

لم يلتزموا ببعض الأحكام الشرعية كالتى تتعلق بالميراث أو الزواج أو الطلاق وغيره، لذا فإننا نلاحظ أن دلالات الاستفهام ضمن خطابهم قد تشابهت مع بعض دلالات الاستفهام في خطاب الكافرين ومن هم بمنزلتهم في بعض السياقات التي تمت دراستها في ضوء العلاقات اللغوية والرجوع إلى كتب التفسير كدلالة النفي أو التوبيخ أو الإنكار وغير ذلك .

الخاتمة:

النتائج التي توصل إليها البحث :

- بين التمهيد أهمية الترابط الدلالي بين العناصر اللغوية والسياق الداخلي والخارجي للخطاب، وتطرق للحديث بإيجاز عن العلاقة بين عناصر الخطاب ومراعاة الخطاب القرآني للمقام وحال المخاطبين .
- قَدّم التمهيد لفكرة البحث وهي التباين بين خطاب المؤمنين والكافرين ومن باب التوضيح تم ذكر مثال أسلوبيّ هو النداء فقد جاء خطاب المؤمنين مباشراً دون وسيط وهو (يا أيها الذين آمنوا) أما في خطاب الكافرين فلم يكن مباشراً بل كلف الله سبحانه وتعالى محمداً لمخاطبتهم .
- بلغت الأنماط الجمالية الشرطية ما يقارب مئة وتسع عشرة جملة، وقد وردت تسع أدوات شرطية في سورة النساء .
- استعمل الخطاب القرآني (إن) الشرطية الجازمة ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في مواضع عديدة، وكانت دلالاتها ضمن خطاب المؤمنين تتعلق بتوضيح أمور الدين وترغيبهم ووعظهم وإرشادهم وتثبيت إيمانهم وعقيدتهم، أما دلالاتها ضمن خطاب الكافرين فترتبط بحالهم في الدنيا ومصيرهم في الآخرة ومن الدلالات التي تم دراستها ضمن خطابهم دلالة التهديد ودلالة استغناء الله سبحانه وتعالى عنهم ودلالة إثبات حقيقة المنافقين .
- وردت أداة الشرط الجازمة (من) ضمن خطاب المؤمنين والكافرين ومن دلالاتها المقارنة بين ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين، وقد تكرر استعمالها في خطاب المؤمنين ضمن سياق طاعة الله والرسول تأكيداً على هذه الدلالة المتحققة من أسلوب الشرط المتصدر بـ (من)، وقد ارتبطت بدلالة الوعد والترغيب ضمن خطاب المؤمنين في حين ارتبطت بدلالات التهديد والوعيد ضمن خطاب الكافرين .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

- وقعت (ما) الشرطية الجازمة ضمن خطاب المؤمنين في سورة النساء في آيات الأحكام للتأكيد على فريضة ثابتة وهي (المهر) وللتأكيد على عمل الخير وتجنب المعاصي، في حين لم ترد ضمن خطاب الكافرين.
- وردت (أيضا) الشرطية الجازمة مرة واحدة فقط في سورة النساء وكان ذلك ضمن خطاب المنافقين للإشارة إلى دلالة التهديد .
- وقوع (إذا) الشرطية الظرفية غير الجازمة ضمن خطاب المؤمنين للدلالة على النصيحة والإرشاد (كرد التحية بمثلا أو بأحسن منها)، أما في خطاب الكافرين فحملت (إذا) الشرطية الظرفية دلالة انتهاء أوان التوبة عند حضور الموت .
- وقعت (لو) الشرطية غير الجازمة في خطاب الكافرين والمنافقين لبيان شركهم وإعراضهم عن أوامر الله واتباع رسول الله وقد تحققت هذه الدلالات ضمن دلالة (لو) الشرطية في امتناع وجود الجواب لامتناع وجود الشرط، أما في خطاب المؤمنين فقد وقعت ضمن سياق شرطي ايجابي وهو إبعاد أذى المشركين عنهم وذلك أيضاً ضمن دلالة (لو) الشرطية الامتناعية .
- وردت (لولا) الشرطية غير الجازمة مرتين فقط في سورة النساء، مرة في خطاب المؤمنين وأخرى في خطاب موجه لمحمد عليه الصلاة والسلام وفي المرتين كانت دلالة الخطاب مرتبطة بدلالاتها النحوية المعروفة وهي امتناع الجملة الثانية بسبب وجود الجملة الأولى . والجملة الأولى التي منعت عن المؤمنين اتباع الشيطان وعن محمد أذى المشركين هي (لولا فضل الله ورحمته)، فهذه الأداة ارتبطت بلفظتي الفضل والرحمة ولعل هذا الارتباط كان مقصوداً من منشاء الخطاب جلّ وعلا لعدم ورود (لولا) ضمن خطاب الكافرين أو المنافقين .
- وردت (أما) الشرطية التفصيلية ضمن سياق المقارنة بين جزاء كل من المؤمنين والكافرين .
- وقعت (كلما) في سياقين شرطيين ضمن خطاب الكافرين والمنافقين، وقد حمل خطاب كل منهما دلالة التكرار والديمومة فخطاب الكافرين مرتبط بديمومة العذاب وخطاب المنافقين مرتبط بتكرار وديمومة الكفر ونقض العهود، ولم تقع (كلما) في خطاب المؤمنين وكأن المخاطب جلّ وعلا خصصها لخطاب الكافرين فقط في سورة النساء .
- توصلت الدراسة إلى أن أسلوب الاستفهام بالهمزة هو الأكثر وروداً فقد تناولت الدراسة اثنا عشر موضعاً أربعة منها ضمن خطاب المؤمنين وبقية السياقات الاستفهامية كانت ترتبط بالكافرين والمنافقين وكفار اليهود .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

- دلّ الاستفهام المتكرر بالهمزة (ألم تر) الموجه لمحمد صلى الله عليه وسلم على التعجب من حال المستفهم عنهم وهم المنافقون، وقد أظهرت الدراسة القيمة الجمالية لتكرار هذا النمط الجملي الاستفهامي (ألم تر) وهي قيمة زادت الخطاب القرآني إقناعاً وتماسكاً دلاليّاً .
- خاطب الله سبحانه وتعالى فئة من المؤمنين في سياق استفهامي مكرر هو (أتريدون) تأكيداً على دلالاتي الإنكار والتوبيخ .
- وردت (كيف) مرة واحدة ضمن خطاب بعض المؤمنين، وكانت دلالتها التعجب والاستكار، أما بقية المواضع التي وردت فيها (كيف) فقد كانت ضمن خطاب الكافرين والمنافقين وقد حملت دلالات هي التعجب والتوبيخ والتقريع والتخيم والتعظيم .
- لم ترد (من) الاستفهامية ضمن خطاب المؤمنين بل وردت في موضعين ضمن تمجيد الله سبحانه وتعالى نفسه وموضع ضمن خطاب جميع الأديان وموضوعين ضمن خطاب الكافرين .
- تكرار النمط الجملي الاستفهامي (من أصدق من الله) مرتين وهذا التكرار وقع ضمن سياقين مختلفين هما الصدق في الوعد بالجنة والصدق في الحديث عن البعث والحساب والأمور الغيبية وهو تكرار يؤكد دلالة النفي .
- وردت (ما) الاستفهامية في ست مواضع ثلاث منها في خطاب الكافرين والمنافقين ضمن دلالات النفي والإنكار والتوبيخ وثلاث في خطاب بعض المؤمنين الذين اختلفوا في أمر المنافقين والذين جبنوا عن الجهاد والقتال .
- تكرر النمط الاستفهامي (مالكم) في خطاب بعض المؤمنين وهذا التكرار كان له قيمة جمالية انفعالية ودلالية ترتبط بالإنكار والتوبيخ والتعجب .
- وردت (ماذا) في سياق استفهامي واحد ضمن خطاب الكافرين لإثبات دلالة التوبيخ.
- وردت (أم) الاستفهامية مرتين في سورة النساء في خطاب كفار اليهود وكانت دلالة الاستفهام في الموضعين هي الإنكار .
- وردت (أي) في آية واحدة فقط في سورة النساء ضمن خطاب المؤمنين، والاستفهام لم يكن حقيقياً فالسائل وهو الله جلّ وعلا لا يسأل بل يقدم خبراً يتعلق بأحكام الميراث .
- كشفت الدراسة أن أسلوب الاستفهام كان أكثر شيوعاً ضمن خطاب الكافرين والمنافقين وكفار اليهود، وأقل شيوعاً ضمن خطاب بعض المؤمنين ممن اختلفوا في أمر المنافقين وممن تخلفوا عن الهجرة والجهاد وممن لم يلتزموا ببعض الأحكام الشرعية .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

المصادر والمراجع:

- 01 القرآن الكريم
- 02 الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه علي بن عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- 03 الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد، أسرار العربية، تحقيق بركات يوسف هبود، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2012 .
- 04 الأنباري، كمال الدين، أبو البركات ، الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2003 .
- 05 اسماعيل، محمد بكر، قراءة النحو بأسلوب العصر، دار الفكر، القاهرة، ط1، 2004 .
- 06 بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997
- 07 براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود (د.ط)، 1997
- 08 البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل) تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، د.ط، 1409 .
- 09 البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط1، 2000.
- 10 الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، علق عليه محمود شاكر.

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

- 11 ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، (د.ط)، 1913 .
- 12 حسان، تمام، الأصول، دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة ، عالم الكتب، القاهرة، 2000م .
- 13 حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3 .
- 14 أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993 .
- 15 الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 2011 .
- 16 الرواشدة، سامح، جماليات التعبير في لغة القرآن الكريم، الصايل للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1، 2013
- 17 الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10، 2009
- 18 الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2006 .
- 19 الزمخشري، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1984 .
- 20 زيدان، عبد الكريم، الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة قرطبة .
- 21 السراج، محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4 .
- 22 سعداني، الأخضر، نظام الجملة الشرطية في سورة آل عمران (رسالة ماجستير)، إشراف د0 أحمد جلايلي، السنة الجامعية 2006/2005 .

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

- 23 السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، نتائج الفكر في النحو، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، (د.ط)، (د.ت)
- 24 سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983 .
- 25 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جميع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2012
- 26 الشريف، علي بن محمد، معجم التعريفات، بيروت، لبنان، مادة (شرط) .
- 27 شريقي، عبد اللطيف، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2004 .
- 28 الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، راجعه يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007.
- 29 الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 2001 .
- 30 الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1 .
- 31 عتيق، عبد العزيز، في البلاغة العربية، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
- 32 العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ
- 33 ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار العلم والمعرفة، مكتبة التقوى، القاهرة، (طبعة جديدة) 2023

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

- 34 علي، محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007
- 35 العمادي، أبو السعود بن محمد، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، (د.ط)
- 36 عودات، محمد عبد الرحمن، الإعجاز القرآني في جملة (إن) الشرطية، المنارة، مجلد22، العدد 4، 2016 .
- 37 عيده، ناغش، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين، دراسة نحوية بلاغية تداولية (رسالة ماجستير)، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2012
- 38 الفرنواني، الخلاصة في النحو، مكتبة المتنبي، الدمام، السعودية، ط1، 2017
- 39 فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الإنجلو المصرية، (د.ط).
- 40 القبيسي، فاطمة بنت صالح، المتشابه اللفظي في سورة النساء، مجلة كلية دار العلوم، مجد 19، عدد 138
- 41 ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، سوريا، د.ط، 1969 .
- 42 لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة د.عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية -بغداد، ط1، 1987 .
- 43 ماريوباي، أسس علم اللغة ، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3
- 44 المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، عالم الكتب، بيروت.
- 45 المخزومي، مهدي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
- 46 المرادي، الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

الشرط والاستفهام ضمن خطاب المؤمنين والكافرين في سورة النساء

- 47 المطعني، عبد العظيم إبراهيم، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 2011 .
- 48 مغمولي، إسماعيل، الخطاب القرآني في ضوء العلوم اللغوية، مجلة الموقف الأدبي صادرة عن اتحاد العرب في دمشق، عدد 393، 2004 .
- 49 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، مادة (شرط) .
- 50 ابن نبي، مالك ، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق، ط4، 1987
- 51 ابن النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2004 .
- 52 ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1992 .
- 53 ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، شرح شذوذ الذهب، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، 1986.
- 54 ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت .
- 55 يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه وإعرابه، مطبعة الشام، دمشق، ط1، 2000 .